ثالوث السحر اليهودي في القرآن الكريم- قراءة ثقافية

أ.م.د. فراس صلاح عبدالله العتّابي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية
salahroad@yahoo.com

الملخص:
يستند البحث إلى حكايات السحر الثلاث التي يُتكأ على وجود سند لهُنَّ في القرآن الكريم، فيفند السحريةَ الثقافية بأدوات النقد الثقافي، ويحيل التأويل إلى نصوصه القرآنية التي تَشِمُ السحرَ بالوهم، وبالمرجعية اليهودية ذات الأصول الإفريقية/الفرعونية، هذه المرجعية التي تقف نسقا مضمرا خلف السحريات الثقافية العامة، كما وينفي هذا البحث عن بابل شبهة اليهود بأنها بوابة السحر الأولى؛ ليُثبِتَ إيمانَ العراقيين، ودعوتهم لله الواحد في زمن قَتَلَ فيه العبرانيون أنبياءهم، وسجنوهم، واتهموهم بالسحر، فكان السحر مرتبطا بهم حيث تكلّم القرآن الكريم عن قصة من قصص السحر.
الكلمات المفتاحية:ثالوث- السحر- اليهود- القرآن.

The Trinity of Jewish Magic in the holy Qur'an, a cultural reading

Assistant Professor.Dr. Firas Salah Abdullah Al – Atabi
Al-Mustansiriya University/ College of Education

Absrtact :
This research is based on the three magic tales that leaning on an evidence mentioned in the Holy Quran . It refutes the cultural magic by resorting to the tools of cultural criticism and refers the intrepretation to its Quranic texts that equalize the majic with illusion in addition to the Jewish reference that dates back to Pharaonic and African origin . This reference has an implied layout behind the general cultural magic .The research denies , as well , that Babil , because of the Jewish suspicion , was the first home of magic , and goes on to prove the Iraqis' faith and their call for worshiping the one God at a time when the Hebrews killed , imprisoned their prophets and accused them of being magicians , so magic was associated with them where the Holy Quran narrates one of the magic tales.
Key words : Trinity , magic , Jews , Quran.

الحكاية الأولى: النسق الفرعوني، وظلال السحرية اليهودية :

في البدء كانت الخرافة، لأنّ كل بداية خداج من الناحية الثقافية، ومن ثم تتكامل في صيرورتها المتصاعدة إن لم تعتورها انتكاسة تاريخية، أما سبب وجود الخرافة ثقافيا فهو محبتنا للحياة، فالبشر مولعون بحيواتهم، متعلقون بها، وبما أننا كذلك، ولأننا لا نحب ما لا نعرف نعمل على اسمتراء الخرافة حين تسد فراغات معارفنا الحياتية، فالخرافة كلمة ملء الفراغ العلمي التي تطبب عوزنا الثقافي، وكذلك كانت بداية الإنسان الثقافية خرافات توازن فراغ جهله كي يبقى محبا للحياة، وذلك أننا مدفوعون بصفتنا بشرا إلى ملء الفراغ الذهني، إذ إننا متسائلون بطبيعتنا، وحين لا يحضر العلم تجيب الخرافة لتملأ الفراغ الذهني الذي يولده السؤال، وإذا كان البحث العلمي مجهدا، ومكلفا؛ فإن الخرافة مريحة، ومغرية في الوقت نفسه؛ لأنها تمتلك الجاذبية التي يقصر العلم عن إدراكها في كثير من الأحيان البدائية، ونعني بالبدائية: العقول غير المدربة علميا على كشف التناقضات المعرفية، وهي العقول الفطرية غير المشككة بما تنقله لها ثقافاتها، فكيف بالسحر؟ وهو ما دقّ، وخفي من الأمور، وهو الخديعة، وهو المنتفخ بلا لب بل لتجويف فيه[١]، أن لا يمرّ على الثقافات التي تعهدته بالرعاية، والحفظ، وقد ورد في معانيه ما دلّ على تلونه، وامتلائه الفارغ، هذه المقدمة كانت ضرورية كي أقول: إن القرآن ليس دليلا على وجود السحر، بل هو دليل على وجود ثقافات سحرية تتعهد هذا المفهوم، وتؤمن به، فقد توصل البحث إلى تتبع إحدى هذه الثقافات التي كانت خلفية حاضرة في أبرز المواطن التي يستدل بها مؤيدو اعتراف القرآن بالسحر، وهي الثقافة اليهودية ذات النسق السحري، إذ سيؤشر البحث إلى حضور هذا النسق مع كل موطن قرآني يشير إلى السحر، أو السحرية نصا، أو تفسيرا، وقبل أن أبدأ من الأولية التاريخية لهذا النسق، التي يؤشرها القرآن قصة مع موسى (ع) سأستدل على تفنيد القرآن، والعلماء للبعد السحري بالمعنى الخارق، والمستعين بمخلوقات مفارقة، وغيبية بشكل متناوب على طوال هذا البحث لأسباب فنية، وموضوعية.

قال (الزمخشري) عن قوله تعالى: ((سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ))[٢]إن سحرة فرعون خدعوا الناس ((بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه))[٣]، وقال (الطبرسي) القول نفسه في خداع الناس باسم السحر، والتمويه عليهم، وذلك لأن سحرة فرعون أظهروا شيئا لم يعرف الناس حقيقته، ولم يدعوا الناس يدخلون بينهم كي لا يفتضح أمرهم حتى قال: ((وفي هذا دلالة على أنّ السحر لا حقيقة له، لأنّها لو صارت حيّات حقيقةً لم يقل الله سبحانه : ﴿... سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ ...﴾ بل كان يقول: فلمّا ألقوا صارت حيّات. وقد قال سبحانه أيضاً : ﴿... يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾))[٤] وهذان رأيان لطرفين إسلاميين محترمين في تفنيد السحر، ولكننا لن نغفل من قال بغير هذا الرأي ولكن في الموطن الملائم لذكر الرأي، فبحثنا ليس بحثا دينيا من الزاوية التخصصية، مع احترامنا الكبير لهذا التخصص، ولكنه بحث ثقافي يتتبع الأنساق السحرية البشرية، وكيف خاتلت هذه الأنساق حتى ادعت أن القرآن الكريم يصدق وجود السحر، ويؤسس له، فلقد استغلت هذه الأنساق عشوَّ الذاكرة البشرية، وبكون هذه الذاكرة لا يعول عليها، فالانتصار غالبا ما يكون حليف الإطار الذهني الذي تؤسسه الثقافة المهيمنة، والتي ينخرط تحتها مواطنوها الذين حين يتساءلون،

ولا يسعفهم العلم يتبرع الوهم بملء فراغ الإجابة فـ ((الطبيعة تبغض الفراغ))[٥] كما قال (سبينوزا) وإن كان يقصد بالطبيعة البعد المادي للبيئة؛ فإننا نعمل على إعمام جملته هذه على الناحية الثقافية للذهن البشري الذي يرى في الوهم جاذبية تدغدغ عواطفه، وترضي غروره إلى الحد الذي يصل فيه هذا الانسان الى العمى الثقافي الذي يجعله مستوطنا للـ (اللابرنت)[٦]، أو مخدرا كـ (آكلي اللوتس)[٧]، فالمخدرات الثقافية أقوى بكثير من المخدرات الذهنية؛ لأن الأولى تفتك بالمجاميع البشرية، والثانية لا تخرج عن الإطار الفردي في الفتك البشري بلحاظ خطر الأمرين معا، ولكن مع تقديم ضرر الأولى بالنسبة للثانية، ثم إن الثقافات تستوطن الزمان، والمكان الذي تحلّه المجتمعات فتصبح رمزا يحمله ساكنو تلك البيئات معهم أينما حلوا، وارتحلوا جيلا بعد جيل حتى لتصبح هذه الرموز هوية تشكل جزءا من الكيان الحامل لها، ويصبح أي تشكيك بها مسًّا بحامل الهوية نفسه، وهذا الشيء سنلاحظه مع النسق السحري اليهودي، وهو يتنقل في المكان، والزمان ويبقى رمزه محمولا معه، بل ومتسربا من خلاله إلى الآخرين الذين يشاركونه الفضاء الثقافي، فالثقافة أمواج نسقية، أو كما يقول(كلاكهون): ((إن ثقافة مجتمع من المجتمعات هي نسق تاريخي المنشأ يضم مخططات الحياة الصريحة والضمنية، يشترك فيه جميع أفراد الجماعة...))[٨] و(كلاكهون) يساعدنا في فهم السلوك البشري حين يقول: إن الثقافة هي ((كل مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك تلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية واللاعقلية، وهي توجد في أي وقت كموجات لسلوك الإنسان عند الحاجة))[٩]، وهذه الأمواج النسقية السحرية يؤشرها القرآن الكريم في الأمم السابقة التي كانت تعارض أنبياءها، وتتهمهم بالسحر ما يشي بوجود الثقافات السحرية في مختلف الأمم البشرية وعلى مختلف العصور الإنسانية قال تعالى: ((كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ ...))[١٠]، وبما أن تلكم الثقافات كانت ثقافات سحرية فقد استخدمت السلطات هذا البعد الثقافي وسيلة من وسائل هيمنتها على المجتمعات فتم توظيف السحر، والكهانة لتدجين المجتمعات، والسيطرة عليها، وكان السحرة طبقة بين السلطة، والعوام بمعنى التوسط الثقافي من ناحية الطبقة الاجتماعية، ومن ناحية التدرج السلطوي فهم أولو معارف وأساليب تهيمن على العوام من خلال حصر هذه المعارف والأساليب في طبقتهم فقط ومن خلال التدليس على العوام، وبرعاية السلطة المستفيدة من خدمات هؤلاء السحرة، فالسحرة كانوا برجوازي العصور القديمة، أو وزراء الظل في الهيمنة الثقافية، وإن أقدم القصص التي تؤشر البعد السحري في حكاية عن النسق السحري، والأنبياء يقدمها القرآن في قصة موسى(ع) مع سحرة فرعون، وفي هذه القصة سنلحظ نسقين ثقافيين: الأول، نسق مهيمن وهو النسق السحري/الحسي مقابل النسق الثاني، الذي هو النسق الإلهي الذي يدعو من خلاله النبي إلى اتباع صوت العقل وترك الصوت الخرافي، وبين هذين النسقين صراع غير متكافئ الموازين، فالكفة النسقية مائلة للنسق السحري/الحسي ذي التدليس الخرافي فهو راسخ ومحمل بالتواتر البعيد لدى طبقات شعبية استمرأته ووجدت فيه مخدرا يعطّل القلق المعرفي بداخلها من خلال إجابات مدفوعة بالسلطة الحاكمة الفرعونية التي وجدت في رعايتها للإجابات الخرافية عاملا مهما من عوامل تركيز النسقي والخرافي المنسجم مع رغباتها السلطوية، التي جعلت من الشعب ذا ذهنيات غير رصينة وغير راسخة في الوعي العقلي، قال تعالى حاكيا حال فرعون مع شعبه في هذه الجزئية: ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))[١١]، والآية المباركة تشير إلى أمرين في النسق الخرافي:

الأول: وجود الأرضية القابلة للخرافة، والتدليس، والمهيأة لإنفاذ صوت الخداع فيها، وهنا كان الخبر في حال قوم فرعون بأنهم فاسقون بمعنى خارجون عن الفطرة السوية للإنسان، وهذا نوع من العري عن العقل، والصوت الواعي بحيث يصبح المجتمع عند خروجه عن الحالة التي أهلته للإنسانية قابلا للمؤثرات النسقية، فهو بهذه الحال بلا مناعة، أي: إنه مكشوف للنوائب الثقافية عند ابتعاده عن الوعي الذي يميز الانسان عن بقية المخلوقات من خلال ثقافة الاستفهام، والسؤال، التي تجعل من الانسان إنسانا منسجما مع طبيعة خلقه المميزة.

الثاني: وجود المُدَلِّس، أو صاحب السلطة، العامل على خفض مستوى الوعي الشعبي، وذلك رغبة منه في إعمام انخفاضه، ودونيته على الجميع، فعدم وجود طبقة مثقفة تحدّ من غرور السلطة هو عامل طمأنينة، وتثبيت لتلك السلطة، ففرعون بحسب بعض المرويات غير مستحصل للحكم من بوابة الأهلية الشرعية لهذا الحكم بل من بوابات التآمر، والخداع، فالرواية الدينية تشير إلى أنه رمسيس الثاني،وأنه أجنبي، ومن الهكسوس، المنحدرين من بنى إسرائيل[١٢].

ولقد تضافر هذان العاملان في المجتمع الفرعوني ذي النسق السحري/الحسي، بل وتجاوزاه إلى المشاركين لهذا النسق في الثقافة، فثقافة المجتمع صاحب السلطة تؤثر في المجتمعات الهامشية حتى ولو أبدت تلك المجتمعات معارضة إزاء ثقافة المجتمع السلطوي، فإن هذه المعارضة/ الهامش ما أن تتحول إلى سلطة وتصعد إلى المتن الثقافي فإنها ستعيد إنتاج ثقافة مجتمع السلطة الذي كانتتعارضه سابقا، فأي صعود للمعارضة يعني سقوطها بوصفها خطابا معارضا، وتحولها إلى متن ذي سلطة فارضة لاشتراطاتها على من يقع تحت تأثيرها، وهذا بالفعل ما حصل مع بني إسرائيل فقد أعادوا إنتاج النسق السحري الخرافي، وبأكثر من دليل قرآني، وتاريخي، ولكن، قبل الوصول إلى هذه النقطة يجب أن نلفت عناية القارئ الكريم إلى أكثر من أمر في الثقافة السحرية الفرعونية المرصودة في مرحلة البحث هذه، وهي:

١. الثقافة الحسية/البصرية للمجتمع الفرعوني:

الحسّ سابق المعنى، وهذه الأسبقية ليست أسبقية تفضيلية؛ بل هي أسبقية تراتبية، فالحواسّ هي النوافذ التي يمر من خلالها المُدخَل المعرفي الإنساني، بمعنى أن الحسي هو الأولي الإنساني، ولكن وبتراكم هذا الأولي وتوافر الحصيلة الاستيعابية للمدخلات الحسية ينتقل الذهن البشري والثقافي إلى مرحلة أعلى، وهي المرحلة المعنوية أو التجريدية فيقوم الذهن بالربط، والتحليل، والتفكيك، والكشف، والتحقيق، متجاوزا عيوب الحسية التي من الممكن أن توقع حاملها تحت وطأة الوهم الثقافي، الذي هو عرض من أعراض تشوه الحواس أوالتدليس عليها، ويعد الخداع البصري أكثر أنواع الوهم انتشارا وشهرة في المجتمع البشري، وذلك لأن حاسة البصر تسيطر على معظم الحواس في أغلب الأحيان، وان الحضارة الفرعونية أعلت شأن هذه الحاسة فتعالت في البنيان، ووهبت السلطة الحاكمة حية، وميتة بناءات ضخمة، ولو كان هذا البناء تحت حدِّ العمران المادي فقط لم يكن في الأمر غضاضة، ولكن السؤال الثقافي الناجم عن هذا التعالي البنائي هو الخلفية الثقافية لهذا البناء من جهة، والرسالة التي يوجهها هذا

البناء لمتلقيه من جهة أخرى، فالبناء الفرعوني ذو القصور المحاطة بالتماثيل الشاهقة والضخمة والمخيفة والقبور/الأهرامات الناطحة للسماء هي رسائل ثقافية تبعث في متلقيها خطابا ثقافيا يعزز الوهم الذي أشاعته السلطة المتعالية سحريا على الشعب بدلالات مادية لا يستطيع الموهومون والواقعون تحتها الفكاك من تأثيرها، فهي تحاصرهم في الزمان والمكان وتحيّد ثقافة القلق الإنساني المدفوع بصوت التشكيك العقلي لصالح الشواهق العمرانية المرعبة، تلكم الشواخص التي تتلقاها العيون كلما أبصرت وتتخيلها الأذهان الثقافية كلما تفكرت، وعليه فالثقافة الفرعونية ثقافة حسية بدلالة ما قدمنا من أدلة وبدلالة نوع الكتابة المستعملة وهي الكتابة الصورية (الهيروغليفية)، وبدلالة دفع الفرعونيين نبوة موسى (ع) لأنه غير متحلٍّ بالصورة التي يجب أن يكون عليها السلطوي أو السحري المرهب لأعين الناس بهيئته وسياقه قالوا ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[١٣]، وعليه فالثقافة الفرعونية هي ثقافة حسية/صورية بامتياز، وهي تعلي شأن المرئي على المعنوي/المجرد، وبذلك سيفضّل رعاياها فرعون/الرب المرئي بصورته، وتمثلاته العمرانية على الإله الغيبي، والمفارق، والمجرد الذي يدعو إليه موسى (ع)، وسيبقى النسق السحري مسيطرا على النسقيين الرازحين تحت نيره، وسطوته، حيًّا، وميّتا بل وعلى المحايثين[١٤]، وإن كانوا معارضة ونعني بهم بني إسرائيل خلا العقلانيين منهم، وهذا ما ستذهب إلى البرهنة عليه سطورنا اللاحقة.

٢. الترهيب في الثقافة الفرعونية:

الخوف سلاح ماض في الاستعباد البشري، وقد أشرنا في النقطة السابقة إلى وسيلة من وسائل هذا الخوف والترهيب وهي الوسيلة البصرية/السحرية التي كان الرعايا الفرعونيون يطالعونها كل حين فتبعث فيهم رسائل السلطة المؤثرة فيهم حياة وموتا وبحسب شفرتهم النسقية، فتأتي خشية الرعايا ورعبهم استجابة لهذه الرسائل المبثوثة في الفضاء الثقافي لتلك الأمم، وأما دليلنا الآخر على اعتماد الترهيب وسيلة لتلك السلطة فضلا على ما تقدم من أدلة فهي الآيات القرانية التي حكت حال الحكومة الفرعونية التي جابهت النبي موسى (ع) بالقسوة والصلابة، وقبل الدخول إلى مضمون هذه الآيات المباركات أودّ أن أوضح لمن قد يُشكِل في أن القرآن الكريم ليس حجة علمية على النسق الفرعوني وإنما هو كتاب عقدي؛ فأقول: إن النسق السحري الذي نحن بصدده هو نسق يهودي على طول خطوط البحث المرصودة في كتابتنا هذه، وبما أن اليهود ينطلقون من متن كتابي يؤسس وعيهم، ويبنون على أساسه مشاريعهم في الدولة، والإنسان، فلا بد من أخذ الأمر من زاويتهم هذه مرة، ومن كون النقد الثقافي يهتم بالنسق الثقافي على أساس الشيوع والامتداد أكثر ما يهتم بأدلة إثبات الوجود حول الأصل المنبعث منه هذا النسق مرة أخرى، وزيادة على ما تقدم فإن كاتب هذه السطور المتواضعة ينطلق من عقيدته القرآنية التي تؤسس رؤيته في الكون والحياة من منطلق وحياني يعتقد بأرجحيته على ما يتبناه الآخرون في الاستدلال والتحكيم، وبالعودة إلى حجج الترهيب الفرعوني التي ستشكل نسقا يتبناه السحريون، ويرعونه فيما بعد فإنها مؤشرة في القرآن الكريم من بداية قصة موسى (ع)، ومنذ لحظة الميلاد الموسوية التي مارس من خلالها الفرعون فعلا إجراميا ترهيبيا صوب بني إسرائيل فقتل كل مولود يولد ذكرا لدى هذه الشريحة من الناس لا لدليل مادي، وإنما انطلاقا من نبوءة بشرية أزعجت الفرعون فاختار راحته منها بوسيلة القتل التي تستهدف البراءة الإنسانية المتمثلة بالطفولة البشرية في أكبر إشارة قرآنية على مدى البشاعة الفرعونية لذلك النسق السلطوي الجائر، الذي لا يستثني حتى من لا ذنب له من البشر إلا لكونه ذكرا يُظنُّ فيه التهديد المستقبلي للفحولة الفرعونية الطاغية، وهذا الطغيان هو ما دفع موسى(ع) إلى الهروب الأول من حضن والدته صوب العدو، ثم دفعه إلى هروبه الثاني وهو شاب من أهله صوب مدين، ومن ثم هروبه الثالث من مصر صوب البحر الذي انشق عباب موجه للرسالة السماوية، في حين لم ير الطاغية المرهِب لصاحب هذه الرسالة كل أدلتها فعمد إلى السحرة والعسكر وتقطيع الأجسام إرهابا تخويفيا لنسق سار خلفه، وسيسير النسقيون بعده حتى وإن بقي شاهدا على خسارة النسق الترهيبي إزاء صوت العقل الموسوي، ولكن متبعيه النسقيين سيبقون خلفه مرهوبين أومرهبين فهم سحريون وطغيانيون وإرهابيون،وهم نسقيون كل النسقية عمقا في الزمان وتموجا مكرورا على سطحه الإنساني؛ ما يجعل من فكرتهم السحرية في ذواتهم مقدسة وغير قابلة للدحض والمناقشة، فهي متعالية بحسبهم لأنها رصيد يرون أنفسهم من غيره صفرا إنسانيا فاقدا للقيمة، والمعنى، فهي لهم الهوية، والكيان،والمعنى.

ثنائية الحيَّة/العصا، والنبي/السحرة:

في العلوم الاجتماعية يطرح مصطلح (السقف الأبستمولوجي)[١٥] بوصفه حدّا لا يستطيع الخروج عليه إلا الندرة القليلة من أفراد الجماعة البشرية، وتحت هذا السقف يتشكل تصور خاص لدى الجماعة بالتاريخ والموقف من الوجود، والخيال، والعقل، والحس أو المعنى أو كلاهما، فهذا السقف هو المظلة الثقافية التي لا يتعداها نظر الجماعة النسقية في الثقافات البشرية، والجماعة السحرية التي نحن بصددها هي جماعة حسية لها مع الحيَّة تصورات متعددة، ومشتركات ثقافية، فالحيَّة في اللغة كائن بصري حاد الرؤية، حتى قيل في المثل (هو أبصر من حيَّة)[١٦]، وهنا نلحظ البصر/الحس، وهو مشترك ثقافي بين الحضارة الفرعونية، وهذا المخلوق، وكذلك قيل في الحية، إنها ظالمة حدَّ الجور، حتى قيل في وصف الظالم: إنه ((أظلم من حيَّة؛ لأنها تأتي جحر الضب فتأكلُ حِلسها وتسكُنُ جُحرَها))[١٧] وكذلك كانت السلطة الفرعونية الجائرة جورا عظيما على بني إسرائيل حتى قال ربُّ العزة مذكرا بني إسرائيل بفضله عليه حين رفع عنهم الطغيان الفرعوني قائلا: ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ))[١٨]، إنه فعل الحيّة نفسها التي تقتل الحلس، وتنهب السكن، وهذا مشترك آخر بين الحيَّة والثقافة المرصودة ببحثنا هذا، وكما أن الحية بهذه الصفات؛ فإن لها في الموروث الثقافي معنى معاكسا لما تقدم فهي تحمل المعنى وضده في الوقت نفسه، فقد قيل لمن يمتاز بقوة الشكيمة والقدرة على حماية حوزته بأنه (حيَّة الوادي)، وللقوم ذوي الشكيمة والبأس بأنهم (حيَّةُ الأرض)؛ ((ومنه قول ذي الأصبع العدواني:

عِذِيرُ الحَيِّ مِنْ عُدْوَانَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ

أراد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يُضيعون ثأرا، ويقال رأسه رأسُ حيَّة إذا كان متوقدا شهما عاقلا. وفلان حيَّة ذكر، أي شجاع شديد))[١٩]، وهذا التضاد المعنوي في لفظ الحيَّة نجده حاضرا في الثقافة المصرية القديمة فلقد شكلت الحية معنى سيئا، وغير

مرغوب فيه، فهو مجسد للظلام والفوضى، والثعبان(أبيب) أو (أبو فيس) وهو الخصم الذي يدخل معه الإله (رع) في صراع يومي لإعادة الشروق للحياة، ولقد قدر المصريون القدماء هذا الثعبان لأنهم كانوا يؤمنون أن النظام ينبع من الفوضى، وأما على الجانب الآخر فقد شكلت الحيَّة في الثقافة المصرية علامة إيجاب وتقدير في الموروث الثقافي فقد جسد المصريون القدامى الإلهة (واجت) على شكل ثعبان الكوبرا ونحلوه صفة الحماية، وكان على الملك الحاكم أن يرتدي تاجا على مقدمته شكل الكوبرا، في دلالة رمزية للحماية والدفاع ضد الأعداء[٢٠]، وهذه الاستجابة الثقافية التي تمثلت بنحل الحية صفتي القداسة، والرجاسة في الوقت نفسه، هي انعكاس لحاجة اقتصادية؛ فالمجتمع المصري مجتمع زراعي وعليه فقد شكلت الحية مكافحا مهما في حياته الزراعية للقوارض التي كانت تلتهم مزروعاته، كما أن خروج الحية من جحرها هو إيذان بموسم الربيع ذي الحصاد والبعث للثمار ما يشكل ترابطا اشتراطيا بين ظهورها وموسم الحياة هذا من جانب الإيجاب، وأما من جانب السلب فقد كانت حيات المستنقعات الخضر تنشر الخوف في أولئك القرويين وتبعث فيهم الرعب، حيث شكلت مصدر تهديد لحياتهم، وهذان المعنيان المتضادان في الحية تحولا إلى بُعد ثقافي رمَّزَ هذه الحية فضلا عن دلالتها المشيرة إلى قدرتها على البعث والحياة والموت والتغيير، فهي تغير جلدها وتبث سما قاتلا كما أنها تحرس محاصيلهم الزراعية، وعند اشتباك هذه المعاني يأتي التضاد في التلقي الثقافي للمجتمع السحري الذي سيضع هذه الحية على جدران معابده، وعلى رؤوس ملوكه، وستكون علامة للخصوبة وسيثير صمتها عجمة الغموض التي تنشر الخوف في المتلقي العمومي ذي السكن الرازح تحت السقف الأبستمولوجي للجماعة الثقافية فتصبح رمزا سحريا تتداوله هذه الجماعة ومحايثوها الثقافيون ولا سيما بنو إسرائيل الذين شكلت هذه الحية دلالة عندهم على صحة رسالة موسى(ع) فحضرت في قصته القرآنية ثلاث مرات:

أ. عند رؤيته للنار وهو مقبل على مصر للدعوة لله ضد النسق السحري الفرعوني ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخرَىٰ. قَالَ أَلقِهَا يٰمُوسَىٰ . فَأَلقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّة تَسعَىٰ))[٢١]، وفي هذه الآيات تورية ثقافية تتناص في المعنى القريب ذي الأولية غير الكبيرة مع الشائع الثقافي المصري، الذي ينحل العصا والأفعى صفات قدسية كبيرة، فهذان الرمزان يحضران على جدران المعابد المصرية بشكل كبير، ومع رسوم الملوك المصريين القدامى، وأما المعنى البعيد ذو الأثر الأهم الذي تحيلنا هذه الآيات المباركات إليه فهو اعتقادنا المنطلق من توجهنا الثقافي في سبر النصوص،الذي يرى في الاستفهام عن العصا قصدا أبعد من إجابة موسى (ع) الظاهرية؛ فتحت المعنى الأولي لهذه الإجابة معان أعمق، إذ إن العصا وهي دلالة الحكم في التراث المصري القديم، إنما هي دلالة حكم جديد، ودلالة حاكمية موسى القريبة، والذي ستتحول فيه الرعية الثقافية إلى وصاية هذا النبي، وحكمه فيهم، ولا سيما أن العصا ترمز للزمن في الوقت نفسه؛ فهي أداة قياس حركة الزمن قديما من خلال إسقاط الظل على الأرض عند إشخاصها للوظيفة الزمنية لمعرفة الوقت؛ فالعصا، والحية التي ترمز للحياة ورفع الجلد البالي إلى ثوب ثقافي جديد،وهما رمزان لزمن ثقافي جديد ستنعقد رايته بيد النبي موسى (ع) لمغادرة السحرية الفرعونية، وبوسائل الثقافة الشائعة ولكنها تورية ثقافية ستحاول كسر النسق الموروث بأدواته نفسها، ولكن بحمولة معنوية عقلانية سيروجها موسى وهارون (ع) وستعمل على تدليسها رعيتهم الثقافية فيما بعد بالسحرية الفرعونية.

ب. عند محاولة موسى(ع) إقناع الفرعون بوجود الله جلَّ اسمه الكريم، وحكاية هذا الموقف تحضر في سورتين قرآنيتين، وهما سورتا الأعراف، والشعراء المباركتان، قال تعالى:

((وَقَالَ موسى يا فِرعَونُ إِنّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالَمينَ. حَقيقٌ عَلى أَن لا أَقولَ عَلَى اللَّـهِ إِلَّا الحَقَّ قَد جِئتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُم فَأَرسِل مَعِيَ بَني إِسرائيلَ. قالَ إِن كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَأتِ بِها إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ. فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيضاءُ لِلنّاظِرينَ.قالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَليمٌ))[٢٢]، الملأ هم النخبة الثقافية، ولقد جرى إعمام للخطاب الموسوي من هذه النخبة الفرعونية بأن ما قام به موسى (ع) خطاب سحري، والسحري سيواجهه السحري في إزاحة ثقافية أزاحت الصراع عن المتن، أي: الفرعون؛ ليكون بين طبقتين سحريتين حسب ادعائهم، إحداهما تحت مظلة السلطة، والثانية خارجة عليها، في تأليب ثقافي سيعزز الخوف الموسوي من الجماعة الثقافية التي هو بصدد مواجهتها في يوم كرنفالي يعزز الخوف الأسطوري في الرعية الثقافية.

((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ. قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ.قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ))[٢٣]، لقد خاطب موسى(ع) الفرعون أول الأمر بالمعنوي المجرد حين ذكره أن الله رب السماوات والأرضوالآباء الأقدمين ورب المشارق والمغارب، فلم يَعِ الفرعون هذا التجريد، واتهم موسى (ع) بالجنون، وهدده بالسجن، وهنا انتقل موسى(ع) إلى الشفرة الثقافية التي يتعامل بها هذا الفرعون وملؤه، وهي الشفرة الحسية غير التجريدية فأراه المعاجز الحسية، وهنا لم يأتِ الإنكار، بل الاتهام بالسحر في إشارة إلى الوهم المحبوك فقد اتهم النبي بأنه ساحر عليم بمعنى يشي بوعي هذه النخبة الثقافية إلى كون السحر بعدا تدليسيا، وليس بعدا حقيقيا، وهذا يعني أن السحرية التي تحاول هذه السلطات تمريرها على رعاياها هي وسيلة لتعزيز سلطتها من خلال استغلال جهل تلك المجتمعات ومحاولة ترهيبها بالأداة السحرية، وهي محض أوهام؛ ولذلك أسقطوا على موسى(ع) صفاتهم التدليسية حين أرعبتهم معجزته الإلهية، فعصا موسى (ع) ثعبان وليس حية،وبذلك ورد وصفه في القرآن الكريم عند مرَّتي ذكر هذه الواقعة، والثعبان بحسب لغة العرب هو الأعظم في الحيات والذكر منها[٢٤] في إشارة بيانية قرآنية إلى عظيم المعجزة القرآنية، وإلى دلالة التحول الكبيرة بين نسقيين، الغالب فيهما رباني/حق، والجاحد منهما سحري/وهمي.

ت. تباري السحرة مع موسى(ع)، وبيان نسقي الوهم، والحق قال تعالى: ((قَالَ ٱلمَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيم. يُرِيدُ أَن يُخرِجَكُم مِّن أَرضِكُم فَمَاذَا تَأمُرُونَ. قَالُوٓاْ أَرجِه وَأَخَاهُ وَأَرسِل فِي ٱلمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ. يَأتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيم. وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرعَونَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجرًا إِن كُنَّا نَحنُ ٱلغَٰلِبِينَ. قَالَ نَعَم وَإِنَّكُم لَمِنَ ٱلمُقَرَّبِينَ. قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحنُ ٱلمُلقِينَ.قَالَ أَلقُواْ

فَلَمَّآ أَلقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱستَرهَبُوهُم وَجَآءُو بِسِحرٍ عَظِيمٖ. ۞ وَأَوحَينَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَن أَلقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلقَفُ مَا يَأفِكُونَ. فَوَقَعَ ٱلحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ. فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ))[٢٥] يحكي المشهد الذي تصوره آيات الأعراف المباركة هذه مجموعة كبيرة من المضامين الثقافية ومنها:

القول المسند إلى الملأ يشير إلى أن النخبة الثقافية هي الطبقة المستفيدة من طغيان الفرعون؛ لذلك تعمل هذه النخبة على تمرير خطاب السلطة الإرهابي بصيغة تمويهية سحرية، وتصف المعارض للفرعون بأنه ساحر عليم، وبأنه متآمر على الأرض التي تملكها تلك الرعية الثقافية فيقولون: إن موسى (ع) ((يُرِيدُ أَن يُخرِجَكُم مِّن أَرضِكُم)) وهذا هو الخطاب السلطوي الذي يعمل على تمرير ثقافة الأرض المحفوظة بهذه النخبة، وهو يتكرر في أكثر من مكان فحتى الفرعون يمرر هذا النسق المخاتل على رعيته، إذ يظهر نفسه بصورة المصلح، ويظهر موسى(ع) بمظهر المفسد، فيقول: ((ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ))[٢٦]، وهذا الخطاب التدليسي هو خطاب مخاتل يعمل من خلاله على تضليل الرعية التي تميل إلى خطابه أكثر من ميلها إلى خطاب المعارض لأن آليات الهيمنة التي تتمتع بها السلطة أكثر قدرة على الترويج والانتشار، ولأن النسق غير صفري من ناحية التلقي بل هو معبأ بحمولات السلطة الراسبة في ثقافته.

الملأ/النخبة الثقافية ينقل الصراع الثقافي من ساحة الفرعون إلى ساحة المجتمع، فتقول هذه النخبة بما أن موسى – بحسبهم- (ساحر عليم) فمواجهته ستكون ليست مع الفرعون الذي هو غير مدلس أو مموه أو سحري -بحسبهم طبعا- بل مع سحرة بارعين هم نظراؤه، وبذلك تظهر هذه النخبة الحاكم بوصفه عادلاً، ومستمعا لرعيته، ومستأنسا بأقوالهم فيكون الفرعون بذلك الصالح، والأب الثقافي، والحاكم الحاني، وبذلك تستجدى العواطف النسقية، ويختلط الحابل بالنابل في جمل ثقافية لها سابقية التأويل والتحيز.

إن قولهم الواصف لموسى(ع) بأنه (ساحر) هو إشارة إلى البعد التمويهي والتدليسي للسحر، ومعرفة هذه النخبة بحقيقة البعد السحري وهو الكذب والافتراء والتدليس، فكأنهم يقولون إنّ ما رأوه هو كذب وتمويه وتدليس احترافي، وستتم مواجهته بمثيله في الافتراء والكذب، ما يعني أنها مواجهة بين خطابين تدليسيين يكسر أحدهما الآخر؛ وبذلك سيتم الإثبات بالبعد التمويهي لدعوة موسى(ع) بحسبهم، وهذه إشارة قرآنية واضحة إلى عدم إيمان النخبة الثقافية بالبعد السحري من الناحية الفعلية بل إدراكهم لزيفه وخداعه، وإنما تستعمله هذه النخبة لتدجين العامة.

يشير رب العزة جل اسمه الكريم إلى زيف السحر وعدم حقيقته بقوله تعالى: ((سَحَرُوٓاْ أَعيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱستَرهَبُوهُم وَجَآءُو بِسِحرٍ عَظِيمٖ)) قال الطبرسي: لأنّها لم تكن تسعى حقيقة، و إنّما تحرّكت لأنّهم جعلوا في أجوافها الزئبق، فلمّا حميت الشمس تمدّدت الزئابق فحصلت على أثره تلك التحرّكات، وظُنَّوا أنّها تسعى[٢٧] وهذه إشارة قرآنية إلى عدم وجود السحر بالمعنى العلمي، بل هو دليل على كون السحر بعدا تمويهيا لا أكثر، وأما الغاية من فعل السحرة هذا فهي منسجمة مع البعد الترهيبي للسلطة الفرعونية، فالآية تقول(واسترهبوهم) والألف والسين والتاء تفيد الطلب هنا، فالغاية كانت استغلال جهل التلقي العام من أجل إرهابهم وإيقاع الخوف في أنفسهم، وبالفعل حازوا رغبتهم هذه من خلال التدليس الثقافي الذي وصف بأنه (سحر عظيم) أي بتخييل عظيم كبير، من التخييل والخداع[٢٨] الذي وقع في نفوس تلك الجماعة الثقافية.

الآيات المباركات تنتصر للسلطة الحقيقية سلطة موسى (ع) بوساطة أداة تلك السلطة (العصا) على السلطة النسقية المتمثلة بالوهم والخداع ويجب أن نلتفت هنا إلى أن القرآن ذكر مع عصا موسى (ع) التحولات التي تطرأ عليها فمرة تحولت (حيَّة) ومرة تحولت (ثعبانا) ولكنه في هذا الموضع لم يذكر أنها تحولت بل قال ((وَأَوحَينَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَن أَلقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلقَفُ مَا يَأفِكُونَ)) في إشارة الى أن العصا هي التي لقفت الإفك السحري والوهم الثقافي الذي حاول السحرة نشره من غير أن تتحول إلى أفعى أو إلى ثعبان، بل بقيت على حالها في إشارة إلى السلطة الحقة إزاء الوهم المفترى، ومعنى (لقف):أي تناول الشيء المرمي به صوبك، وهو في التفسير الابتلاع[٢٩]، ونرى أنّ سرعة الرد على الوهم السحري حالَ إلقاء موسى عصاه أبطلت سحرهم لأعين الناس، وفكت التصورات الوهمية التي وقعت فيها الرعية الثقافية، وذلك بدليل قوله تعالى: ((فَوَقَعَ ٱلحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعمَلُونَ))، فالعصا أبطلت الإيهام الذي جعل العصي والحبال تبدو في أعين الناس أنها متحولة عن جماديتها إلى الحركة فأعادت عصا الحق الموسوية الجماد جمادا في أعين الناس، ثم إن السياق هنا مغاير للسياقين اللذين تحولت فيهما عصا موسى(ع) إلى كائن حيوي/ رمزي،فهي حين تحولت أفعى في المرة الأولى لتحمل رمزية الولادة الجديدة لعالم سيؤسسه القول الموسوي ثم إنها كانت برمزيتها تلك مناسبة لذلك السياق، وأما تحولها إلى ثعبان فهو سلطة ترهب بها سلطة موازية وهي سلطة الفرعون، وأما في سياق السحرة فالأمر مختلف، إذ إن السحرة كانوا يريدون استرهاب الناس بينما كان موسى (ع) يحاول إقناع أولئك الناس من خلال الحجة الإعجازية التي تتكئ على عصا الحق لا الوهم السحري، وعليه بقيت العصا رمزا ولم تتحول إلى مرموز ثقافي آخر، وهذا ما أدركه السحرة، وغفلت عنه الرعية الثقافية التي أبقت على الصراع الدائر حينذاك بين طرفين سحريين لا بين حقيقة، ووهم، وكما سنبين لاحقا.

النسق السحري العام لم ينكسر بل بقي لصالح الفرعون، فالنسق موارب، ومتحايل ويعمل على تغذية ديمومته بشكل مستمر، ومع أن السحرة آمنوا بموسى لأنهم كانوا يعلمون أن ما جاء به موسى(ع) ليس السحر بل هو شيء إلهي خارق للعادة، والمعرفة المخاتلة التي كانوا يجيدونها بل كانوا يحترفونها، ولكن الناس مُدَلَّس عليهم، وليسوا علماء، فالناس نسقيون، ولذلك يحدثنا القرآن الكريم عن بقاء قوم فرعون متهمين موسى(ع) بالسحر، فكانوا ينادونه بعد هذه الحادثة بـ(الساحر) ويذكر القرآن الكريم نسقيتهم هذه حين يتعارض رجاؤهم بإنقاذ موسى(ع) لهم من البلاء بوسمهم له بالسحر، فقال حاكيا قولهم المتناقض هذا: ((وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ))[٣٠]، وهذه هي طبيعة النسق فهي مخاتلة تحمل الشيء وضده في الوقت نفسه، فالفرعونيون هنا محتاجون لموسى(ع) ولكنهم لا يرفعون عنه شبهة السحر، ثم ان بعض[٣١] المفسرين القدامى لما نظروا في هذا التناقض الذي انماز به أسلوب المستنجدين بموسى(ع) حاولوا تبرير الأمر بأنهم كانوا يقصدون العالِم، وبأنهم لم يكونوا يقصدون وسمه بالسوء وهذا الرأي مردود بآيات القرآن الكريم نفسها التي ذمت السحر والسحرة، وذمه موسى(ع) عند مواجهته للسحرة فوصفه بالباطل والتمويه فكيف يقصد هؤلاء أمرا كان النبي ذمه وعمل على تحقيره، ولكنه نسق انزلق على السنتهم فـ ((قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ))[٣٢].

كل النسق الذي اشتغل على الناس وَوُظِفَ من الفرعون على قومه والآخرين هو نسق سحري/تمويهي أراد منه الفرعون استغلال جهل الناس، وقد نجح في ذلك، إذ إنه نظر إلى عدم امتلاء الناس معرفيا، ونقديا، وانصرافهم إلى الشهوات الحسية فاستخفهم، ودفع هواهم لملء أشرعة رغباته السلطوية حتى وصفه القول الأصدق القرآن الكريم، ووصفَ قومه حين صور أنساقهم بقوله تعالى: ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))[٣٣]، وكلمة (اسْتَخَفَّ) بالألف والسين والتاء تخرج للطلب لغة ما يشي طلب أصحاب السلطة النسقية في أقوامهم أن يكونوا خفيفي الوزن النقدي، والعقلاني، ورغبتهم في أن ترتع أقوامهم في الجهل، وهذه سمة في الطغاة، وقوله تعالى عن القوم بأنهم((كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)) هو خبر إلهي يشير إلى القابل النسقي البشري الذي يسمح بتمرير الأنساق، بل والرسوخ في ثناياه حتى يغدو هذا النسق البشري ذا بعد تمويهي ومخادع ومخدوع في الوقت نفسه لخفته، وسفاهته، وعدم رجاحته.

لقد غرق الفرعون، ولم ينقذه سحرته، ولا تمويهاتهم، ونجى موسى(ع) بعلمه الرباني ورجاحة عقله، ولكن النسق الفرعوني سبح، وطاف، ونجى مع قوم الفرعون بسبب جبروته، وطغيانه فلم تؤثر فيهم معجزة إغراقه علامة الإيمان، بل إنه حنط بوصفه خالدا بحسب النسق الفرعوني، وليكون تحنيطه دليلا للمصريين، وللعبرانيين على موته، وذلك لأنهم سحريون/نسقيون فقد ذكرت بعض[٣٤] المرويات التفسيرية أنهم شكُّوا في أنه قابل للموت فأنجاه الله جسدا وقبضه طاغيا، قال تعالى: ((فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ))[٣٥]، وذيل الآية يشير إلى الأكثرية الإنسانية النسقية من خلال غفلتها عن البراهين الربانية التي تدحض الافتراءات النسقي، ما يعني بقاء النسق وتمدده على الرغم من هذه البينات الإلهية، ومثالنا في بحثنا هذا السحرية/النسقية، التي وعلى الرغم من دحضها قرآنيا وإهلاك الفرعون إلا أن النسق يحتال فيجعل منه خالدا بصورة التحنيط مرة، وبالصور النسقية مرات عدة، فقد بقي قومه على إيمانهم به على الرغم من إهلاكه، بل والأدهى من ذلك أن الفارين من نسق الفرعون، وهم العبرانيون أعادوا تمثل النسق السحري الفرعوني، هذا النسق الذي غدا خلفية للسحرية اليهودية التي ستنشره في أماكن، وأزمنة متعددة فكلما حضر الحديث عن السحر في القرآن الكريم سنجد اليهود يمثلون الخلفية السحرية لهذا الحضور، وقد نضج النسق السحري عند العبرانيين في مصر الفرعونية حتى إذا ما غادروها فارين بدينهم الذي يعارض الفرعونية عادوا إلى النسق السحري، وأرجلهم مازالت تقطر بماء المعجزة الموسوية التي فندت النسق السحري، فقالوا: ((يا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَإِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ))[٣٦]، و(تَجْهَلُونَ) بصيغة المضارعة التي تدل على الاستمرار، والتجدد، أي الاستمرار بالنسق القديم، والعمل على تجديده، فالنسق السحري يعاوده الإسرائيليون بين الفينة والأخرى حتى يدحضه نبيهم ويواجههم بسحريتهم التي يكفرون بها الحق ((وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡا أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ))[٣٧] فحين يوقظهم موسى(ع) من أوهامهم يدركون كم الخسارة الفادحة التي يحوزها النسقيون فيستغفر الواعون منهم، ولا سيما صاحب الدعوة لكسر النسق، فموسى(ع) الذي ((قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا))[٣٨]، يشير إلى السفاهة في أولئك القوم، و(السفاهة) هي الخفة، وعدم الارتكاز، وهي هي النسقية الفرعونية التي طلبها فرعون في قومه حين استخفهم، فشرط النسق كي يتحقق هي الخفة بمعنى الجهل، وعدم الوعي، فالسفيه هو الجاهل، وهو خفيف الحِلم[٣٩]، وهذا شرط السحرية، والنسقية، فهي أي الخفة متلازمة الجهل، وعدم الوعي، ومن هنا فأي قصة عن السحر في القرآن الكريم سنجد في خلفياتها المحرك اليهودي ذا الثقافة السحرية المحاكية للبعد الفرعوني الذي نشأت، وترعرعت في ظلاله.

الحكاية الثانية / بابل: بوابة الإله، أم بوابة السحر:

إذا كانت حكايتنا الأولى قد دارت على الجغرافية الموسوية في أرض الفرعون المصري، وحواليها، وفي حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد،لكون موسى التوراتي يؤرخ لولادته بـ ١٤٦٣ق.م، فإن قصتنا الثانية ستدور سطورها فوق الجغرافية البابلية التي تعدّ أكبر حواضر العالم القديم منذ ٢٣٠٠ ق.م، إذ بلغ عدد سكانها حينذاك أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نسمة[٤٠]، وضمت تحت سلطانها المناطق الممتدة من البحر الأبيض المتوسط وحتى الخليج العربي، وبقيت أرضا لأهم الحضارات الإنسانية لزمن يربو على ١٨٠٠سنة[٤١]، وهنا نلفت الانتباه إلى أمرين مهمين:

الأول: لماذا التفصيل في الجغرافية، والتاريخ في بحث نقدي/ثقافي؟

والثاني: لماذا تأتي قصة بابل ثانية بعد مصر إذا كانت بابل هي الأقدم تاريخياً، والأكثر سكاناً، وحضارات؟

في الإجابة على السؤال الأول يأتي السياق عنوانا مهما في الدراسات النقدية، ويأخذ أهمية أكبر في الدراسات الثقافية، والسياق الذي نشير إليه هنا ليس السياق بمعنى المحيط، أو الماحول كما في المناهج النقدية السياقية، وإنما نعني به: الزمان، والمكان، والإنسان، وهذا هو السياق الثقافي الذي نتكئ عليه في فهم الظواهر المنقودة ثقافيا، فمن غير مراجعة (زمن الحادثة) و(مكان وقوعها) و(تفاعل الإنسان) مع هذين الظرفين تكون القراءة النقدية/الثقافية مبتسرة، وحادثة بحثنا هي (السحر) في مواطن ذكرها القرآن، والتي شخصنا فيها اليهود بوصفهم قطبا محوريا في الإشارات القرآنية للسحرية الثقافية البشرية، فهم أي اليهود داروا بين قارتين من الناحية الجغرافية بين إفريقيا(مصر)، وآسيا (العراق والشام)، وجالوا بفكرتهم السحرية الإفريقية إلى الشام، والعراق، ونحن حين نؤشر إلى القارة السمراء فإننا ننبه إلى الطقوس السحرية التي مازالت تمارسها بعض القبائل الإفريقية حتى زمننا هذا في إحالة إلى موطن السحرية الثقافية، وتأثيراته المستمرة، فالأماكن الحارة المرتبطة بالسراب، وتهويماته، والغابات التي تهدد فيها المفترسات الكائن البشري، والسحب الثقال ببروقها المخيفة للإنسان البدائي عوامل بيئية تعزز البعد السحري في الذوات النسقية غير المهذبة علميا، هذا من ناحية المكان، وأما من ناحية الزمان فإننا نهتم بالإشارات الزمنية، وسلطاتها المهيمنة إنطلاقا من أن الهيمنة السلطوية البابلية، والفرعونية همَّشت العنصر اليهودي، وجعلته منكسرا من الناحية الثقافية، والإنسان إذا كان غير قادر على ردّ انكساراته بشكل واقعي؛ فإنه يعمل على ردها بالخيال، وقد تجلّت فاعلية الخيال عند العنصر اليهودي المهزوم من الفرعون المصري،والمسبي من القائد البابلي في العهد القديم الذي مارس فيه العنصر اليهودي بعدا تعويضيا أسقط من خلاله خيباته، وانكساراته، وسحريته على الآخرين، ولاسيما على البابليين، والمصريين، فهؤلاء هم (الغوييم) بحسب التعبير التوراتي،

والذي يترجم بشكل فندناه في بحث سابق بـ(الأغيار)، وقد توصلنا إلى أن الترجمة الفعلية لهذا المصطلح العبري/التوراتي هو (الغاوون)[٤٢] فقد جعلوا من كل (آخر) بالمعنى الفلسفي غاويا يستحق اللعنات كما أنه بنظرهم شيطاني، أو حيواني، أو سحري كما تعبر كلمتهم الواصفة لغيرهم بـ(الغوييم)، وأن الآخر حين يكون بحسب اليهود بالصفات السابقة فهو غير متصور بالصورة الإنسانية؛ لأنهم هم فقط الذين يستحقون بحسبهم التوصيف الإنساني وكل آخر هو غوييم إذ أنهم بحسبهم الشعب الذي اختاره الرب اليهودي (يهوه)، والآخرون محض انعكاس بشري، أو خيال سحري، وسنتطرق إلى الشواهد التاريخية التوراتية التي سنرد بها على الاتهام بالسحرية لغير اليهود، ولاسيما البابليون الذين صورهم اليهود في التلقي العام بأنهم موطن السحرية البشرية، وبوابتها الأولى، بينما الحقيقة التاريخية على خلاف ذلك، ومن خلال ماتقدم يتبين اشتباك الفاعلية البشرية بظرفي الزمان، والمكان من الناحية الثقافية، وكيف يتشكل الإنسان ثقافيا من تضافره بهذين الظرفين، وعليه تصبح كل قراءة نقدية تعتمد المنهجية النصية (البنيوية) عاملا منفردا في التحليل الثقافي قاصرة، وغير قادرة على تقصي التفاعل الإنساني المنتج للأنساق الثقافية، ومنها (السحرية) التي تشكل عتبة بحثنا المركزية.

وأما إجابة التساؤل الثاني الذي استفهم عن سبب تأخيرنا لبابل بعد مصر، وهي الأقدم تاريخيا، والأكثر سكانا، وحضارات؛ فذلك لكون عنوان البحث يدور حول السحرية الثقافية ونحن نثبّت في بحثنا هذا أن هذه السحرية قد دارت مع العبرانيين، وهؤلاء العبرانيون كانت بابل محطة لاحقة لهم بعد مصر هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأخرت بابل ثانية في الترتيب عند تخطيط هذا البحث كون الثقافة السحرية في بابل أقل ظهورا منها في مصر كون هذه الثقافة مفردة من مفردات العلوم البابلية بينما كانت هذه السحرية جملة مستطيلة في الثقافة المصرية/الإفريقية، وقد بيّنا في المبحث الخاص بمصر كيف كانت السحرية بعدا مهيمنا في تلك البيئة الثقافية، بينما سنوضح في السطور اللاحقة كيف أن هذه السحرية الثقافية لم ترتق في بابل المرقى الذي وصلته في مصر، فمصر كانت غير موحدة زمن هذه الحادثة الثقافية المرصودة في هذا البحث بينما كان البابليون موحدين، وعابدين لله جلّ اسمه الكريم، وهذا الأمر، أمر التوحيد الإلهي البابلي تثبته الآيات القرآنية المباركة كما تثبته التوراة كذلك، فقد قال رب العزة في محكم كتابه الكريم: ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَوَعْدًا مَّفْعُولًا))[٤٣] تشير آية الإسراء المباركة هنا كما بيَّن المفسرون إلى أن الموعودين بالعذاب هنا على يد عباد من عباد الله هم بنو إسرائيل بعدما غالوا في عتوهم وطغيانهم إلى حدِّ قتلهم الأنبياء وسجنهم لهم كما أن العباد الذين سينتقمون منهم في هذه الآية القرآنية كما تشير معظم التفسيرات الدينية هم العراقيون أي البابليون[٤٤]، فالآية المباركة تصف المعاقِبين لبني إسرائيل بأنهم عباد لله، وبذلك فهي تنزههم عن الوثنية، أو الإشراك بالله، فـ (بعث) في قوله تعالى: (بعثنا) هو فعل ماض مبني على السكون، والمضي في الفعلية دلالة على التحقق، والثبوت، والـ(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل وعائدية هذه الفاعلية الى الله جل اسمه الكريم في إشارة إلى أن مرجعية هؤلاء المبعوثين هي مرجعية إلهية، و(عليكم) تنقسم إعرابيا على (على) التي هي جر يفيد الاستعلاء في انتخاب قرآني لهذه الأداة النحوية التي تؤسس معنى بلاغيا يظهر فوقية هؤلاء العباد المبعوثين على دونية القوم الخارجين على حدود الله، الذين أشارت لهم آية الإسراء المباركة بالضمير (كم) في كلمة (عليكم)، الذي هو ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ (بعثنا)، وقوله تعالى (عبادا) مفعول به منصوب، والمفعولية تشير هنا إلى إمضاء العبادة فيهم، وتقريرها لهم من الله جل اسمه الكريم، وأما الـ(لنا) فهو التكريم، والتحقيق، والتثبيت لحيازة الله لهؤلاء العباد فـ(اللام) حرف جر يفيد الاختصاص، والاستحقاق، والملك، هنا، والـ(نا) ضمير عائد إلى الله سبحانه وتعالى في محلّ جرّ متعلّق بنعت لـ(عبادا)، فالفاعلية الإلهية الإيمانية ماضية في هؤلاء العباد الذين قرنهم الله إليه في إشارة قرآنية إلى توحيدهم، وتنزيههم عن الأفعال الوثنية.

وأما في التوراة فقد تواترت الكثير من جمل العهد القديم على إيمان المعاقِب لبني إسرائيل، وذكر بالاسم فهو (نبوخذنصر) إذ جاء في سفر دانيال الإصحاح الرابع بيان إيمانه ورغبته في حثّ الناس في الأرض جميعا على الالتفات إلى قدرة الله، وسلطانه العظيم، وحثهم على السلام، ونص السفر هو: ((مِنْ نَبُوخَذْنَصَّرَ الْمَلِكِ إِلَى كُلِّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ السَّاكِنِينَ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا: لِيَكْثُرْ سَلاَمُكُمْ.اَلآيَاتُ وَالْعَجَائِبُ الَّتِي صَنَعَهَا مَعِي اللهُ الْعَلِيُّ، حَسُنَ عِنْدِي أَنْ أُخْبِرَ بِهَا.آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا، وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.))[٤٥]إلى أن يشير هذا السفر إلى تأكيد إيمان (نبوخذنصر) بالله جل اسمه الكريم؛ فيقول على لسانه ((فَالآنَ، أَنَا نَبُوخَذْنَصَّرُ، أُسَبِّحُ وَأُعَظِّمُ وَأَحْمَدُ مَلِكَ السَّمَاءِ، الَّذِي كُلُّ أَعْمَالِهِ حَقٌّ وَطُرُقِهِ عَدْلٌ، وَمَنْ يَسْلُكُ بِالْكِبْرِيَاءِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُذِلَّهُ))[٤٦]،وقد سلك العبرانيون بشهادة توراتهم التي يؤمنون بها طرق الكبرياء، والظلم، والكفر فبعث الله عليهم عبادا له مخلصين، وبه مؤمنون، فقد أكدت التوراة التي بين أيدينا على أنه ((فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِ يَهُويَاقِيمَ مَلِكِ يَهُوذَا، ذَهَبَ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصَرَهَا))[٤٧]، وقد أخبر النبي (إرميا) بني إسرائيل بوجوب الخضوع لـ(نبوخذنصر) لكنهم نالوا من نبيهم (إرمياء) وأرادوا قتله ثم قرروا سجنه، وبقي نتيجة نبوءته، ونصحه لبني إسرائيل في السجن حتى حرره (نبوخذنصر) منه[٤٨]، وتشير التوراة إلى ذلك في سفر إرمياء بالقول:

((فِي ابْتِدَاءِ مُلْكِ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، صَارَ هذَا الْكَلاَمُ إِلَى إِرْمِيَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ قَائِلًا: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِي: اصْنَعْ لِنَفْسِكَ رُبُطًا وَأَنْيَارًا، وَاجْعَلْهَا عَلَى عُنُقِكَ، وَأَرْسِلْهَا إِلَى مَلِكِ أَدُومَ، وَإِلَى مَلِكِ مُوآبَ، وَإِلَى مَلِكِ بَنِي عَمُّونَ، وَإِلَى مَلِكِ صُورَ، وَإِلَى مَلِكِ صَيْدُونَ، بِيَدِ الرُّسُلِ الْقَادِمِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى صِدْقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا. وَأَوْصِهِمْ إِلَى سَادَتِهِمْ قَائِلًا: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: هكَذَا تَقُولُونَ لِسَادَتِكُمْ: إِنِّي أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَالإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ الَّذِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، بِقُوَّتِي الْعَظِيمَةِ وَبِذِرَاعِي الْمَمْدُودَةِ، وَأَعْطَيْتُهَا لِمَنْ حَسُنَ فِي عَيْنَيَّ. وَالآنَ قَدْ دَفَعْتُ كُلَّ هذِهِ الأَرَاضِي لِيَدِ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَبْدِي، وَأَعْطَيْتُهُ أَيْضًا حَيَوَانَ الْحَقْلِ لِيَخْدِمَهُ. فَتَخْدِمُهُ كُلُّ الشُّعُوبِ، وَابْنَهُ وَابْنَ ابْنِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ أَرْضِهِ أَيْضًا، فَتَسْتَخْدِمُهُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَمُلُوكٌ عِظَامٌ. وَيَكُونُ أَنَّ الأُمَّةَ أَوِ الْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُ نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكَ بَابِلَ، وَالَّتِي لاَ تَجْعَلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِ مَلِكِ بَابِلَ، إِنِّي أُعَاقِبُ تِلْكَ الأُمَّةَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ، يَقُولُ الرَّبُّ، حَتَّى أُفْنِيَهَا بِيَدِهِ. فَلاَ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ لأَنْبِيَائِكُمْ وَعَرَّافِيكُمْ وَحَالِمِيكُمْ وَعَائِفِيكُمْ وَسَحَرَتِكُمُ الَّذِينَ يُكَلِّمُونَكُمْ قَائِلِينَ: لاَ تَخْدِمُوا مَلِكَ بَابِلَ. لأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ بِالْكَذِبِ، لِكَيْ يُبْعِدُوكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ، وَلأَطْرُدَكُمْ فَتَهْلِكُوا. وَالأُمَّةُ الَّتِي تُدْخِلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِ مَلِكِ بَابِلَ وَتَخْدِمُهُ، أَجْعَلُهَا تَسْتَقِرُّ فِي أَرْضِهَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَتَعْمَلُهَا وَتَسْكُنُ بِهَا».))[٤٩]، وإذا أنعمنا النظر، وأعملنا الفكر في النص

المتقدم، ولاسيما ما عملنا على إبرازه بخط واضح نلاحظ التناص البيّن بين التوراة في هذا السفر، وبين القرآن الكريم في الإشارة إلى عبودية العراقيين لله جل اسمه الكريم، وطاعتهم له فقد قال سبحانه وتعالى في آية الإسراء المباركة واصفا لهم ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا))[٥٠]، وفي سفر إرمياء المتقدم جاء توصيف التوراة لنبوخذنصر بأنه عبد لله جل اسمه الكريم، وما نشير إليه من إيمان الحاكم البابلي (نبوخذنصر) بحسب التوراة والقران هو إشارة إلى إيمان العراقيين بالضرورة؛ فكونه انتقل خارج حدوده ليقيم الحق، ويدعو إلى العدالة الإلهية/الإنسانية، هو فعل لا يتأتى بالضرورة إلَّا بعد إتمامه دعوته داخل حدوده الوطنية، وقبل أن نستأنف هذه الفكرة، سنحاول الإجابة على تشكيك ربما يتبادر إلى ذهن البعض، وقد أجبنا عليه بشكل موجز في بداية هذا البحث، وسنحاول هنا إتمام إجابته، والإشكال هو: هل يعد الكتاب المقدس والقرآن الكريم وثيقتين علميتين يستند إلى حججهما في مجال البحث الأكاديمي؟

العلم الحديث يستبعد الميتافيزيقيا، أي: الأبعاد الغيبية من حقوله الدراسية بحجة المادية التجريبية الصارمة، التي تستبعد الوحي من الساحة العلمية، ولقد فندنا هذا الرأي في مقالتين بحثيتين تستقرئ هذا الأمر بشكل مفصل، وتقابل حججه بحجج أخرى، ما يجعلنا نحيل إليهما في هذا المقام دفعا للتكرار، ورغبة في التكثيف، والمقالتان بعنواني: (الحداثة والثالوث الجديد)[٥١]، و(مابعد الحداثة تحطُّ على رؤوس أبنائنا وثيابهم)[٥٢]، فالوحي القرآني بحسب اعتقادنا، وبحسب اعتزازنا بهويتنا موئل معرفي صاف، وينبوع علمي غير مشاب، وهو غير متناشز-بوصفه مصدرا معرفيا- مع منهجنا في النقد الثقافي الذي نحن مشتغلون وفق مسطرته البحثية، فهو أي: النقد الثقافي لا يكترث لوقوع الحادثة من عدمها، بقدر اهتمامه بشيوع حكايتها بين الناس، فشيوعها دليل فاعليتها الثقافية، فهو يناقش هذه الفاعلية الثقافية لا مفعولية وقوعها في الأصل، إذ إن التاريخ الثقافي هو تاريخ اللغة التي ترسم أفكارا تستطيل ثقافيا في الوعي، واللاوعي الإنساني إذ إن ((النسق يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد... والنسق ذو طبيعة سردية ... ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها – كما ذكرنا – قناع الجمالية اللغوية – التي تمارس جبروتا رمزيا يقوم – بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، وهو المكون الخفي لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة))[٥٣]، وعليه تعد الكتب المقدسة من أهم الظواهر الثقافية الجديرة بالدرس، والتقصي، والمتابعة، كما أنها من وجهة نظرنا أدلة دامغة على الفعل الثقافي، وديناميّاته الراتبة أو المتغيرة.

وبعد الإجابة على السؤال الاعتراضي المتقدم نستأنف فكرة النسق العراقي المؤمن، والنسق السحري العارض عليه، والآية القرآنية التي تؤخذ دليلا على سحرية العراقيين هي نفسها آية تبرءتهم من هذا الاتهام، قال تعالى: ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[٥٤]، وقبل أن ننعم النظر في هذه الكلمات المباركات ننبه إلى اختلاف النسق الثقافي العراقي/الإيماني عن النسق الثقافي المصري/اليهودي، فالصراع في النسق المصري/اليهودي كان بين حاكم طاغ (فرعون)، ونبي (موسى)، أي أنه صراع بين المتن المتسلط، والهامش المقموع، بينما النسق العراقي لم يعانِ من هذه الثنائية الضدية التي يقمع فيها الحاكم المحكوم، ويقسره على عبادة الذات الحاكمة، فقد بيّنا إيمان الحاكم البابلي وفق الوثيقتين العبرانية، والقرآنية، وعليه فإن النسق العراقي لم يعش أزمة التسلط الفرعوني على الذات المؤمنة تلك الأزمة التي عاشها العبرانيون، وبسببها عانوا نفسيا إلى الحد الذي أسقطوا انكسارهم النفسي على غيرهم في مرض نفسي يبينه علم النفس في أدبياته التي توصف داء الإسقاط النفسي (Projection) بأنه ((حيلة دفاعية من الحيل النفسية اللاشعورية، وعملية هجوم يحمي الفرد بها نفسه بالصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة أو المستهجنة بالاخرين، كما أنها عملية لوم للآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يوقعونه فيه من زلات أو أخطاء، وهو آلية نفسية شائعة يعزو الشخص بوساطتها أو عن طريقها للآخرين أحاسيس وعواطف ومشاعر يكون قد كبتها بداخله، ويقول علماء النفس إن الأفراد الذين يستخدمون الإسقاط هم أشخاص على درجة من السرعة في ملاحظة وتجسيم السمات الشخصية التي يرغبونها في الآخرين ولايعترفون بوجودها في انفسهم، ويظن الكثير من الناس أن هذه الإستراتيجية أو الحيلة الدفاعية تقلل من القلق الناتج من مواجهة سمات شخصية مهددة، وتظهر هنا مرة أخرى آلية القمع أو الكبت))[٥٥]، وعليه فقد كبت العبرانيون نسقهم السحري وأسقطوه على غيرهم في حيلة دفاعية نفسية، وبأدوات القمع التأويلية التي تسربت من كتاباتهم إلى كتابات بعض المفسرين الإسلاميين، وسنعود إلى تأثر بعض المفسرين الإسلاميين بالادعاءات العبرانية في موقع لاحق، إذ إننا هنا بإزاء بيان النسق العراقي/البابلي، وهو نسق مؤمن بحسب المتون الدينية المتعهدة ثقافيا كما بيَّنا سابقا، وبحسب الآية المتقدمة على وجه التخصيص في هذا الموقع بالذات فالخطاب فيها بعد بيان تعليم الملكين في بابل للسحر، خطاب تشير لغته إلى أنه خطاب موجه للمؤمن وليس للكافر، وكل معتقِد يدرك دقة الاختيار القرآني للألفاظ في قصدية لغوية معجزة دفعت الكثير من علماء البلاغة، والبيان إلى منح النظم القرآني، وقصديته اللغوية مكانة الرأس من الجسد في نظريات الإعجاز القرآني، ومن هنا نلفت العناية إلى حكاية القرآن قول الملكين في بابل، وهما يُعلِّمان إذ يقول: ((وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ))، وعليه فإن قول الملكين لطالب تعلم السحر (لا تَكْفُر) هي نهي جازم لهذا المتعلم من التحول من ضفة الإيمان إلى تيه الكفر، وهي بذلك تمثل إشارة قرآنية إلى إيمان هذا النسق البابلي زمن الإشارة القرآنية هذه، فالفاء في (فلا) هي الفاء الفصيحة إعرابيا، والتي توضح شرطا، وتقديرها هنا (أما وقد علمناك فلا تكفر)[٥٦] ، وهذا التقدير كاشف بلاغي عن انتخاب الفاء الفصيحة التي تؤكد إيمان هذا المتعلم، ودعوته إلى عدم الكفر بعد بيان خطورة هذا العلم، والـ(لا) ناهية جازمة، و(تكفر) فعل مضارع مجزوم، والفاعل (أنت) والجملة لا محل لها جواب شرط مقدر، والمضارعة في هذا الفعل تدل على الاستقبال، أي أن النهي جاء عن حال مستقبلية قد يصير إليها، وليس الآن فأوانه أوان الإيمان لا الكفر، وذلك بدليل قول الملكين له ((إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ)) وبما أن الفتنة هي الاختبار، وبما أن الاختبار لا يكون إلا لمن أتم فروضه، وادعى حفظها، فهذه علامة سيميائية واضحة على إيمان البابليين وعدم كفرهم، وبالانتقال إلى الملكين الوارد ذكرهما في القرآن الكريم في هذه الآية فإن (ابن كثير) في تفسيره قد نقل آراء مختلفة للعلماء فيهما،

ومنها ما اتصل بالرواية العبرانية عن كون الملكين هما داود، وسليمان وكيف ردَّ القرآن الكريم هذه الفرية عن هذين النبيين الكريمين، أو روايتهما الثانية في كون هاروت، وماروت كانا من ملائكة السماء فلما هبطا للأرض، ووضعت فيهما رغبات البشر قاما بالكبائر من سكر، وزنى، وقتل[٥٧] ، والذي يهمنا في مقام بحثنا هذا، هذه الرواية الأخيرة التي تعمدها النسق الثقافي العبراني، وأسقط من خلالها تهمة السحرية على البابليين، وهي مفندة بأدلة متعددة،

أولها: تأويل النحويين لقوله تعالى حكاية عن الملكين (فَلَا تَكْفُرْ) بأنها مؤوَّلَة (أما وقد علمناك فلا تكفر) وهذه دلالة على إيمانهما وعدم كفرهما.

ثانيها: إن القرآن الكريم يكشف لنا أسلوب الشيطان بأنه أسلوب مخاتل عند دعواته الإغوائية، ومن ذلك قوله: ((وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ))[٥٨] فهو أي الشيطان عليه لعائن الله يمارس فعل التزيين لمكائده، فالجمالي كما يوضح النقد الثقافي هو من أكبر الحيل البلاغية التي تسوغ الباطل، وتعمل على تمريره، بينما تطالعنا الآية الكريمة مدار البحث بالقول ((وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)) وقول الملكين بأنهما فتنة أي اختبار دليل على صلاحهما، وعدم كفرهما لأن هذا أسلوب الصلاح ، وليس أسلوب الشيطان الرجيم، ثم إن تسمية القرآن الكريم لهما بالملكين تدفع عنهما الشبهة العبرانية في ضلالهما وعدم صلاحهما.

ثالثها: السياق الذي وردت في هذه الآية القرآنية سياق دال على خطايا العبرانيين، وسحريتهم من الناحية السياقية العامة، بمعنى أن السورة التي وردت فيها الآية المباركة هي سورة البقرة التي وسمت بهذا الاسم لكشف ما يخفي العبرانيون من أنساق موشومة بالضلال والتضليل ((وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ))[٥٩]، فالله مخرج في هذه السورة المباركة ما توافقوا على إخفائه، وعلى كشف عيوبهم النسقية، هذا من ناحية السياق العام للآية موطن الشاهد في هذه السورة، وأما من ناحية السياق الخاص فإن الآية الثانية بعد المائة التي نحن بصدد تحليلها هنا تظهر السحرية اليهودية، والشيطنة العبرانية التي تلقي بتهمة السحر على الأنبياء، ولاسيما داود (ع) الذي يرونه نبيا، وسليمان (ع) الذي يرفعون عنه النبوة ويسبغون عليه السحرية بكامل صورها، فيبرؤه القرآن الكريم بالقول: ((وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ))، هذا من جهة تنزيه القرآن لأنبياء الله من الاتهامات العبرانية لهم بالسحرية، ومن جهة أخرى فإن بعض المفسرين يذهب إلى أن الـ(ما) في قوله تعالى: ((وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)) نافية، وليست للوصل فتصبح الدلالة بذلك نفي السحر عن هذين الملكين[٦٠]، ثم إن قوله تعالى (يُعَلِّمَانِ) علامة سيميائية أخرى توضح البعد العلمي في أرض بابل، فهي إشارة قرآنية إلى الرغبة العلمية في هذا النسق الثقافي، إذ إن العراق المشار له بـ(بابل) هو صانع التاريخ الأول للبشرية جمعاء، كما أنه منماز على الحضارات القديمة اللاحقة عليه بكونه تجريديا أكثر من كونه حسيا، فإذا شاهدنا النسق الثقافي الفرعوني وهو يراعي الحسية في الكتابة فهي أي الهيروغليفية صورية، وفي المدافن العالية (الاهرامات)[٦١]، وفي السحر كما في حكاية القرآن عن سحرة فرعون،فإن كتابة العراقيين القدامى تجريدية إذ إنها مسمارية، ومدافنهم أرضية، وحكاية القرآن عن القيمة السحرية فيهم ضمنية، وضامرة؛ فهي ليست بين الحاكم/المتن، والمحكوم/الهامش كما في مصر القديمة، بل هي في الأسرة، وفي التفريق بين الأحبة، فالإشارة القرآنية في الآية موطن البحث تشير إلى أن السحرية المراد إشاعتها في المجتمع البابلي تهدف إلى كسر عرى المحبة، والتفريق بين الأزواج قال تعالى: ((فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)) إنه جهد سحري يستهدف إحداث صراع ناعم تدور رحاه داخل الأسرة الواحدة على عكس الصراع الخشن الذي دارت رحاه بين العبرانيين والفرعون، وبين العبرانيين وأنبيائهم،فالسحر الذي هو برعاية اليهود في بابل يستهدف إشاعة الطلاق، ونشر البغض، والكراهية داخل الأسرة الواحدة بغية تفتيت المجمع، وكسر أواصره الداخلية ، وصولا إلى تشتيته، والسيطرة عليه في حقد انتقامي بيّن من هذه الامبراطورية التي كسرت ضلالهم، بعقوبة السبيين، فبعد أن لم ينفع معهم السبي الأول الذي قام به (نبوخذنصر)، وتنصيبه ملكا عليهم منهم سباهم مرة ثانية في أقل من عقد من الزمن، فعملوا حين لم يستطيعوا النصر في المواجهة المباشرة على نشر سحريتهم داخل المجتمع البابلي بصورة غير مباشرة للانتقام منه، وأسقطوا عليه صفاتهم الذميمة في محاولة سحرية تكشف المخاتلة النسقية للثقافة المهزومة إزاء الثقافة المنتصرة.

الحكاية الثالثة: بين سورة الفلق، وحديث سحر النبي(ص):

تحضر الحكاية السحرية الثالثة في القرآن الكريم، وهي مرتبطة باليهود كذلك إذ يشير بعض أصحاب الأحاديث إلى سحر النبي(ص) من اليهود في معرض تفسيرهم لسورة الفلق المباركة، فقد أورد البخاري، ومسلم في صحيحيهما هذه الحكاية بالقول: ((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا، وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي؟ أَتَانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ؟ قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. فَقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ))[٦٢].

إن الحكاية الحديثية هذه ارتبطت عند بعض المفسرين بسورة الفلق المباركة، وخلاصتها أن النبي (ص) روى لبعض أزواجه بأنه مسحور من يهودي من يهود المدينة المنورة، وهذا اليهودي من بني زريق، ويدعى (لبيد بن الاعصم)، وأن نتيجة سحره أصابت النبي (ص) -حاشاه- ولمدة ستة أشهر بالتخيلات الوهمية السحرية، حتى ليخيل إليه أنه وطئ زوجاته، ولم يكن وطأهن، أو أنه يفعل الشيء، ولم يفعله، ثم أوحى له الله بمواد السحر المستعملة من اليهودي، وموقعها، وبناء على هذا الإيحاء ذهب النبي (ص) إلى البئر الذي دفنت فيه المواد السحرية، ولم يستخرجها منه خشية على الناس من فاعليتها السحرية التي قد توقع الضرر بهم، ولكنه أمر بدفن البئر ذي الشر السحري، وقد أشار البعض[٦٣] إلى أن سورتي المعوذتين - سورة الفلق وسورة الناس –قد نزلتا رقية للنبي (ص) من هذا السحر، وقد وردت هذه الحكاية الحديثية مختصرة في صحيح البخاري في باب (هل يُعفى عن الذمي إذا سَحَرَ) في الحديث المرقم (٣١٧٥)، ووردت في الصحيح نفسه بشكل مفصل في باب (صفة أبليس وجنوده) تحت الرقم الحديثي(٣٢٦٨)[٦٤]، والحكاية تحمل أنساقا ثقافية متعددة، وسنحاول الاشتغال على ما يتناسب مع عنواننا البحثي المرصود ثقافيا بالدراسة، والتتبع،

ومنها أن مواطن الإشارات السحرية لأبرز القصص القرآني ذي الحمولة الثقافية السحرية مرتبطة بالنسق اليهودي، إذ شكل اليهود مثلث السحرية القرآنية من الناحية الثقافية، فالإشارة الأولى كانت مع الفرعونية المصرية ذات النسق السحري، ثم جاءت بابل/العراقية صلة ثقافية لهذا النسق الثقافي بالسحرية المتأولة قرآنيا، ولاسيما مع حكاية اليهودي (لبيد بن الأعصم)، والتي بيَّنا خلاصتها، وكيف أنها كانت حمَّالة للنسق السحري اليهودي صوب الإقرار التفسيري بسحر المصطفى(ص)، وهو أمر نرده، ونفنده ثقافيا من عدة وجوه، ولكن، وقبل بيان مُفنداته الثقافية نحيل متلقينا إلى ذاكرته التي بيَّنا له فيها عند سطور سابقة سبب الفعل النسقي اليهودي هذا، ونقصد به فعل إلصاق السحرية بشعوب، أو ديانات أخرى، والذي مثل محاولة إسقاطية لترميم الذات اليهودية المنكسرة من جهة، ولترهيب الآخرين من صورة سحرية يرسمها اليهود لأنفسهم إزاء المغايرين لهم، وربما كان الفعل المنسوب للنبي (ص) في الحديث المتقدم، وفي حكايته، من أمره (ص) بدفن البئر الحامل للسحرية اليهوية، وعدم محاولته إخراج الأدوات السحرية المدعاة، ترهيبا للمغاير اليهودي من الفاعلية السحرية اليهودية من جهة، وإشارة إلى ضرورة عدم فك الضوامر اليهودية من جهة أخرى، لأنها عفريت القمقم المحبوس، وما الشر الظاهر على الآخرين منه إلا بعض فاعليته، لا كلها بحسب نسقهم السحري هذا، وكل هذه العلامات السيميائية تشير إلى بعد النسق الرائب لكسره بتعظيم الذات من جهة، ولرسم تهويمات ثقافية مخيفة عن اليهود/السحر يرعاها النسق الثقافي بالحفظ، والتصديق، وقبل أن تأخذنا الأنساق السحرية اليهودية إلى حلول أخرى لشفراتها الضامرة نعود لبيان مفندات الحكاية الحديثية بالأدلة النصية، والمنطقية، والثقافية، وأبرز دليل مفند لربطها بسورة الفلق هو نص هذه السورة المباركة، قال تعالى زمن وجود النبي (ص) في مكة المكرمة: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .))[٦٥]، وهذا النص المقدس ذو إنزال زمني مكي بينما حكاية اليهودي(لبيد) تدور أحداثها في الزمن المدني حين كان النبي(ص) مقيما في المدينة المنورة، وهذا كاشف نصي، ومنطقي على أن الحكاية الحديثة التي ربطت بسورة الفلق المباركة حكاية نسقية يهودية شاكل فيها العبرانيون اتهامهم للنبي المصطفى (ص) بطبيعة اتهاماتهم لأنبيائهم، ومنهم كما بينا سابقا داود، وسليمان (ع)، وهي إشارة سيميائية تريد رفع الأفضلية المحمدية، والسيادة النبوية للمصطفى على كل الأنبياء؛ فأرادوا بهذه الحكاية مساواته بالأنبياء التوراتين من حيث عدم عصمته، وذهوله عن أمور حياته الشخصية، فكيف لمن يغشاه الوهم في بيته أن يؤسس بيتا للناس جميعا من غير ضلال حشاه الله، وأعلى قدره علوا كبيرا عما يصفون، ويدعون، ومن المغالطات العقدية لهذه الحكاية السحرية، هي كيف يخفقُ سحرةُ فرعون أمام موسى (ع) ويفلح لبيد مع سيد الأنبياء والمرسلين محمد (ص)؟ أوليس اعتقاد المسلمين بأن محمدا (ص) متقدم في المرتبة، والدور على كل أنبياء الله (ع)،فكيف تتراجع قدرته عن قدرة بعض أنبياء الله الآخرين، ولكن الأمر حسب ظننا هو مخطط عبراني سحري جاء بعد تعهد الله جل اسمه الكريم بحفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[٦٦]، فالله حافظ كلامه من مس الشيطان بكل صوره بشريا كان هذا الشيطان أم غير بشري، وعليه فقد يئس أعداء القرآن من أن ينالوا من التنزيل، فاشتغلوا على محاولة النيل من خلال التأويل في محاولة لتثبيت نسق سحري متصل من ديانتهم المحرفة بأقلامهم النسقية إلى ديانتنا، وإظهارهم تفوق ديانتهم النسقية على ديننا الإلهي، وبعد بيان بعض الأبعاد النسقية التي تفند الحكاية الحديثة التي تربط بين النبي (ص) والسحر بالرابطة اليهودية نعود لسورة الفلق المباركة ونحاول قراءتها وفق منهجيتنا الثقافية وبما يتناسب مع الخطوط العقدية والقرآنية لديننا الإسلامي، وسنبدأ بالاستفهام عن لماذا لم يُحِل القرآنُ الكريم إلى (لبيد) الذَّكَر، أو إلى ضمير مُذكَّر عند التعوذ (مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)، إذ لم يقل (منشر النفاثين في العقد) مع العلم أن الحكاية الحديثية ترصد لبيدا بوصفه فاعلا لهذه السحرية، وقد يرد علينا قائل بأن بناته كن معاونات له في هذا الفعل السحري، ونرد على هذا الاعتراض بأننا قدمنا مفندات الحكاية الحديثية، فهي لا تستقيم من وجوه متعددة، وهنا سنقدم القراءة الثقافية لاختيار المؤنث بدل المذكر عند التعوذ من الشر، وذلك بحسب تصورنا راجع إلى الطبيعة اللغوية للثقافة العربية التي تؤنث صغار الأشياء فتقول: (النملة، الذبابة، البعوضة، النحلة،... وغيرها)، وعليه فـ(النفاثات) جمع لصغير في الشأن، أو صغير العقل، أو صغير المراد، وهنا يضعنا القرآن الكريم بين كفتين غير متساويتين حين نقرأ: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)) و (النفاثات في العقد)، فأعوذ برب الفلق أي: أستجير، وأعتصم برب يطلق النور من الظلمة، والصبح من العتمة، بينما (النفاثات) جمع لصغير، وشتان بين الأمرين، أمر الله، وهو الأكبر، وأمر النفاثات في العقد ((أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))[٦٧]، إنها بالمعنى المعاصر كلمات في التنمية البشرية، في إعلاء الذات الإنسانية على التهويمات السحرية النسقية فالذي يؤمن بهذه الكلمات القرآنية لا يخشى صغائر النسق من مخلوقين أشرار، أو من شر الحاسدين، أو النفاثات، فيتعالى على كل هذه الأبعاد السحرية النسقية لأنه يؤمن بكلام الله، وبأنهالمتعالي فقد قال: ((وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ))[٦٨]، وهذه الآية وحدها كافية لشجب السحر، والسحرية الثقافية، ولطرد من يستشهد بالقرآن الكريم -حاشاه- على تأكيد السحرية، إذ يكشف الإعراب اللغوي لها مدى البيان البلاغي الذي تكتنزه لنفي نسق السحرية الثقافية، وإعلاء الثقافة القرآنية التي تجعل من المؤمن القوة العليا في الكون، وحيث إنه لا تنظير بلا تعبير على المستوى القرآني فإن عباراتها المنظومة على هذا الشكل البياني كاشفة للحق، ومزهقة للباطل، فـ(الواو) في (وَلا) في الآية المباركة تعرب بأنها حالية، أي أنها ستكشف حال الساحر، لا السحر، وذلك أن السحر فعل غير موجود فلم تتطرق إليه بل ذكرت الساحر الذي هو الفاعل الذي يموه، ويشوه الحقائق، ثم تأتي الـ(لا)التي ستنفي أمرا يروج له هذا الساحر، وذلك بأنه فاعل للمعاجز، وخارق للعادة، فيخبرنا الله جل اسمه الكريم بأن هذا الساحر مدع أفاك، وذلك لأن النفي يرتبط بكلمة (يُفْلِحُ) التي هي فعل مضارع يشير إلى الحال، والاستقبال في عدم فلاحه، وعدم نجاح تمويهاته؛ لا الآن، ولا في المستقبل في تأبيد إلهي لخسارته النسقية من ناحية الزمن؛ لأن الفعل المنفي هو فعل مضارع، كما أن القرآن الكريم في هذه الآية المباركة يؤكد خسارة الساحر في المكان كما أكدها في الزمان، وذلك لأن (حَيْثُ) الواردة في الآية ظرف مكان مبني على الضم متعلق بـ(يفلح) والجملة في محل نصب على الحال، وهذا هو إعجاز كلمات الله لقد أبدت خسارة الساحر/الإنسان في الزمان، وفي المكان، والسياق الثقافي هو مكوَّنٌ ثلاثي الرؤوس، ورؤوسه هي: الزمان، والمكان، والإنسان وقد عرجنا على السياق الثقافي برؤوسه الثلاثة التي ذكرتها الآية المباركة لكشف النسق الثقافي الضال، وهو نسق السحرية الثقافية ، وكيف أن القرآن الكريم بنفيه لفلاح هذا النسق يؤسس للإنسان الناجح خطته في الحياة على أساس تهشيم هذا

النسق الضال، والمضل في الوقت نفسه، وقبل أن نغادر هذه الآية المباركة بقيت لنا فيها كلمة واحدة، ويالها من كلمة، إنها فعلٌ كشف النسق المضل بكل رجعيته، وتخلفه، وهي (أتى) التي وقعت فعلا ماضيا فاعله مستتر (متخف، ومموه) في إشارة بلاغية/ثقافية تحيل إلى أن الأفعال السحرية التي يأتي بها السحرة في كل زمان هي واقعة في ماض يعمل الساحر على استرجاعه، وإنها محاولة بائتة لنفث الحركة في موميائه البالية، فالساحر يقصد بفعله النسقي العودة إلى ماضي العصور البشرية حيث كان الإنسان غير قادر على كشف السببية المحركة للظواهر الكونية فكان يحيلها إلى قدرات سحرية غير مبررة، فالفعل (أتى) أشار إلى أن الساحر يعمل على العودة بالعقل البشري إلى مكان الطفولة البشرية، وعدم النضج الإنساني، وبذلك فقد جمعت الآية المباركة في أربع كلمات تاريخ النسقية السحرية بالإنسان، والمكان، والزمان؛ هذا الزمان الذي أحاط الماضي، والحال، والمستقبل في صورة إعجازية قرآنية تجعل من المؤمن عاليا، وراشدا، وتعطي للمؤمن بالسحرية مكانا منخفضا في قاع السلم البشري، وما أجمل التقدير الإعرابي الذي يكشف انخفاض قيمة السحريين في ذيل الآية الكريمة (حَيْثُ أَتَىٰ) حيث جاء تقديرها على أن جملتها في محل جر مضاف إليه، والجر هو الخفض عند الكوفيين، وبذلك فالسحرة مجرورون بكسر القرآن لأنساقهم الغاوية، ومخفوضو القيمة بهذه الآيات البينات، ومن ثم فإن العُقَدَ التي صورها النسقُ خيوط واهية تَنفخُ فيها السواحرُ شرهن تُقرأ منطقيا، وعقليا بما يتسامى عن السحرية الماضوية القابعة في الزوايا المظلمة من طفولة الوعي البشري، أولم نشر حين مررنا على بابل إلى الفعل السحري اليهودي في البابليين، وهو محاولتهم كسر العرى الأسرية لذلك المجتمع المتدين، وهنا كذلك يحاول اليهود بعنوان اليهودي (لبيد)، أو غيره من أصحاب هذا النسق النيل من المجتمع الإسلامي ذي الروابط الأسرية المتماسكة،وبوساطة تدليس التأويل في التشريع الإلهي هذا التشريع الذي رسم لهذه الأسرة أعلى قيم الانسجام، والتحابب، فيحاولون النفث في العقد الأسرية، والمجتمعية للوصول إلى كسر عراها المتينة، ولكنه نفثٌ يتداعى أمام الأكبرية الإلهية التي يتأسس عليها البنيان الإسلامي، ولذلك جاء النفث مؤنثا (النفاثات) في علامة سيميائية بارزة على دونيته وصغر قدرته مقابل النفسية المؤمنة التي تعلي المبدأ الإلهي على كل سفاسف الأمور، وصغائرها، ويبقى هذا النفث في العقد محاولة الخاسر المهزوم إزاء المنتصر الناجح، وهو فعل خبائثي تلجأ إليه الذوات المنخفضة في محاولة نفسية تعويضية لرأب انكساراتها المتتالية، والمستمرة، فالنسق السحري هو خبث شيطاني؛ بينما النسق الإيماني هو علو قرآني، والنصر يمنحه القرآن لجهة الله على حساب جهة الشيطان، فالمؤمنون هم الذين كتب الله ((فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ... أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[٦٩]، لأنهم متحصنون بالله بقولهم (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.) وهذا التعوذ أي التحصن بذي القوة الأعلى هو نسق فكري يكسر كل الأنساق الباطلة؛فلا تفكير بلا تعبير كما يرى كبار الفلاسفة، ومنهم هيجل، وهوسرل، ودولاكروا، وميرلوبونتي[٧٠] وبتكرار هذا التعبير لدى المؤمنين تترسخ الفكرة الإيمانية التي يتحطم على صخرتها كل نسق ضار، وهذه السورة المباركة تحطم أنساق الشرور الأربعة المحيطة بالإنسان، وهي: الشر بشكلهالمطلق (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) والـ(ما) ينضوي تحتها كل مخلوق عاقل وغير عاقل، وهذا التعبير/التفكير يسلح قائله بحصانة فكرية من كل مَخوفٍ مخشيٍ منه فيؤسس للشجاعة أعلى عنواناتها، وللقوة المؤمنة أبهى حللها، ومن ثم تأتي الآية التالية؛ لبيان ضرورة التحصن من الظلام، ظلام الجهل، والتفكير، والاعتقاد، والوعي، بمعنى التحصن من كل خرافات النسق، وجاهلياته، فتقول: (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)، ووقب: فعل ماض بمعنى حلَّ، وانتشر، و(إِذَا) التي سبقت هذا الفعل هي ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب، متعلق بـ(أعوذ) الذي نتأوله -والله أعلم- بأنه إشارة قرآنية للتحصن من انتشار الأنساق الماضية التي إن عادت، وانتشرت سينتشر، ويحلَّ معها الجهل، والظلام النسقي، هذا الظلام الذي يحاول طمس الوعي الإنساني المتنامي بالصيرورة الزمنية ثانيا، وبفضل الله ومنته القرآنية أولا، هذه المنة التي تفند السحرية القرآنية ذات الأصول العبرانية، وتنبه إلى شر خارجي خَطِرٍ، وهو محاولات استهداف الروابط الإنسانية بمختلف الوسائل الشيطانية، مع بيان ضعف هذه الوسائل بإحالتها للتأنيث الذي يشي بعدم قدرتها على مطاولة التحصين الإيماني ذي المرجعيات القرآنية، هذه المرجعيات التي تنبه من إصابة الأنساق المريضة للبشر،هذه الأنساق التي تريد تحويل البشر إلى ذوات موبوءة بالشر في محاولة للنيل من القوة الإنسانية المستخلفة في الأرض، بجهلها السادر في ظلامه مرة، وبحقدها على التآصر الإنساني مرة ثانية، وبحسدها الراغب بالهدم مرة ثالثة، قال تعالى: ((وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ))، والإحالة هنا إلى التحصن/التعوذ من الحاسد/الإنسان، وليس من الموضوع (الحسد) في بعد سيميائي مهم إلى أن الحسد ليس موضوعا فاعلا بذاته أي أنه ليس صورة سحرية كما يحاول أن يشيع النسق هذا التصور عنه، إنما هو مُتعلَقٌ إنساني بالفواعل النسقية البشرية الموبوءة بالحقد على الآخرين، والتي تتمنى زوال النعمة منهم، فهو أي الحسد ليس غولا خرافيا يصيب بمخالبه الحاقدة بعض الذوات البشرية فتصبح حاسدة لا لخلل فيها، بل لِمَسٍّ جاءها من هذه الطاقة السحرية كما تحاول بعض التصورات النسقية إشاعته، بل هو متعلق بالحاسد/الإنسان الذي يغلب عليه الشر فيصبح حاسدا،ولذلك يعلمنا القرآن الكريم أن نتحصن بالله من هذه الذوات الحاقدة التي ستلتجئ إلى كل ما تتمكن من الوصول إليه لإزالة النعمة عنا، ولكنَّ النصرَ للذوات المؤمنة على الذوات الحاسدة، وذلك لأن رب العزة يقول في محكم كتابه العزيز: ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُوَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[٧١]، فبعد التعوذ بالله تتعالى،وتنتصر قوى المؤمنين على كل الشرور الخارجية (النسقية)، هذه الشرور التي رصدتها سورة الفلق المباركة، فهذه السورة هي سورة معالجة الأنساق البشرية التي يرعاها المحيط الإنساني غير المهذب بوعي البصيرة، وبالعلم الحقيقي، وأما الشر الداخلي للإنسان فقد تكفلت به سورة الناس المباركة، والتي عالجت شرا واحدا، وهو الشر القابع في الداخل الإنساني، والذي يتحول إلى عقد نفسية متغلغلة في الذوات، حتى تمسي صعبة المعالجة، وموهية للإيمان، وهي أشبه ما تكون بالعقدة المناقشة في هذا البحث، ونعني بها العقدة العبرانية التي تعمل على أسقاط دائها على الآخرين، هذا من جهة الداخل الإنساني، وأما من جهة المحيط الإنساني فقد ناقشت سورة الفلق تلك الشرور الخارجية الأربعة، وهي شرور النسق كما بينا، ومما يعطي الاطمئنان إلى ما ذهبنا إليه من بعد تأويلي/ثقافي أن من أسماء هذه السورة المباركة (المقشقشة)[٧٢]، وذلك لأنها تبرئ الإنسان من أوهام النسق كما يبرأ المريض من علته، وجمعا لما تقدم من سطور البحث فإن السحر خُرافةُ الجُهَّال، وموطن أطفال العقول، وقد نزَّهنا قرآننا الكريم عنه حين نبهنا إلى مراجعة التفكير في المتلوِّ من قول الله ذي التذكير، في عدم فلاح الساحر، وحذرنا من إتيان فعل بني عابر، فله الحمد، والمِنَّة في الانتهاء، والابتداء.

الخاتمة، والنتائج:

إذا كانت بداية التاريخ برعاية الخرافة والسحر؛ فإن نهايته بمعنى اكتماله، ونضج وعيه الإنساني مع العلم، ولا سيما العلم القرآني الطارد لجهل الخرافة، ولتمويهات السحرية الثقافية.

السِّحر، والسَّحَركلمتان وردتا عند استعمال القرآن الكريم للجذر(سَ حَ رَ) وكلا الكلمتين تدلان على عدم الرؤية الواضحة، وارتباك القدرة الإبصارية، فقد قال تعالى: ((نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ))[٧٣]، وهنا جاءت كلمة (سَحَر) لبيان الوقت الذي يشتبك فيه النهار مع الليل، وهو الوقت الذي تُرى فيه الصور غير واضحة بشكل تام، ولا محجوبة بشكل كامل، وكذلك معنى كلمة السِّحر فهو التمويه، وعدم الوضوح، وللنجاة من غَبَشِ الرؤية المرتبكة ذات الأبعاد السحرية من الناحية الثقافية طلب موسى(ع) عند تحدي سحرة فرعون له أن ((أَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى))[٧٤]، عند وقت الرؤية الواضحة، وحين تتربع الشمس على عرش السماء، وذلك أن الألاعيب السحرية إلى يومنا هذا تحتاج رؤية مرتبكة لا نوراً ساطعاً يبين مكر خداعها، فالظلام قرين الجهل، وهما أبوا السحر، بينما القرآن قرين النور، وهدى العلم ناتجه، وهو داع للبصيرة، والبصر، وليس للخرافة، والسحر، قال تعالى: ((أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ))[٧٥].

النسق مهيمن ثقافي شديد، ومن أدلة هيمنة النسق السحري قوم فرعون، والعبرانيون، زمنَ موسى(ع)، فكلا الفريقين بقيا على نسقيتهما الثقافية على الرغم من الأدلة الموسوية الدامغة على زيف النسقيات السحرية/الإشراكية، إلّا من رحمه الله بنور بصر عقلي كاسر لهذه النسقيات، وهؤلاء الناجون من التداعيات النسقية هم الأقلية، والهامش، والثلة العاقلة إزاء متن نسقي مهيمن في السحرية الثقافية، والخرافة البشرية.

بَابِل، حَرفيًا "بَوَّابَة الْإِلٰه"[٧٦]، وليست بوابة السحر، وقد أثبت البحث هذا في متنه المناقش لهذه الفرية التي أراد السحريون/العبرانيون إشاعتها ثقافيا، بل إن هؤلاء البابليين هم مَن جابهوا السحرية العبرانية بسيفي السبي، والإيمان حتى أنهوا حكم سلالة داود[٧٧] ذات النسقيات الثقافية المضللة.

الحرب الناعمة هي التي اعتمدتها السحرية العبرانية من الناحية الثقافية في بعد إسقاطي، وتعويضي مارسته هذه الشريحة الثقافية للنيل من المنتصرين عليها، فعمدت إلى ضرب الأواصر الاجتماعية للشرائح المؤمنة، من خلال التحريض المنافق بين أفراد الجماعة المتراصة بغية تصديعها، وكسر وحداتها الداخلية.

إن القرآن الكريم بُعدٌ تنموي للذات الإنسانية على مستوى الجمع، والإفراد لهذه الذوات، فالمؤمنون يتعالون على السحريات النسقية بفضل العبارات القرآنية التي تؤسس للمؤمنين بكلماتها المتلوة ترتيلا بعد ترتيل، البعدَ الإيماني لهذا التفكير بنيانا على وعي ذي بصيرة علمية لهذه الكلمات المنظومة في القرآني مِنَ التعبير.

الهوامش:

١- ينظر: لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ: ٧-٨/١٣٥-١٣٦ مادة(سحر).

٢- الأعراف:١١٦.

٣- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧ هـ: ٢ / ١٤٠.

٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م:٤/٤٦١.

٥- الحنين إلى الخرافة فصول في العلم الزائف، عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨ :١٢١.

٦- اللابرنت: في الميثولوجيا اليونانية متاهة لا يعرف الداخل فيها كيف يخرج منها، بني لحبس وحش المينوتور دون أن يستطيع الهروب، وفيه أبخرة مخدرة تميت الإرادة وتشيع سكرا خلابا وتجعل المقيم فيه لا يريد الخروج منه، ينظر:الحنين الى الخرافة:٢٢.

٧- آكلوا اللوتس: في الأوديسة هم سكان جزيرة يقتاتون على نباتات اللوتس وهو طعام مخدر يجعلهم ذاهلين طول الوقت. ينظر:الحنين الى الخرافة:٢٢.

٨- مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة،رالف بليز، وهاري هويجر، ترجمة:محمد بهاوي، القاهرة،١٩٧٦:١/١٣٧-١٣٩. من كتاب الطبيعة والثقافة :٨٧.

٩- المصدر نفسه:١/١٣٩.

١٠- الذاريات:٥٢.

١١- الزخرف:٥٤.

١٢-ينظر:- https://www.youm7.com/story/2020/4/28/%D9%81%D8%B1%D8%B9%D9%88%D9%86-%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%89-%D9%85%D9%86-%D8%A3%D9%86%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B1%D8%AE%D9%88%D9%86-%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D9%81%D9%88%D8%A7-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D8%B1%D8%B9%D9%88%D9%86/4747875.

١٣- الزخرف:٥٣.

١٤- ينظر: القرآن الكريم، ثنائية اللغة والفكر قبالة المعاجز الحسية، د.فراس العتابي، مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد(٥٩)، العدد(٤)، كانون الأول،٢٠٢٠م:٧٦.

١٥- المصطلح للمفكر محمد أركون وقد كتب الروائي أحمد سعداوي أكثر من مقالة تناوله فيها، ينظر: https://www.dipc.ps/page-2115.html ، تاريخ الزيارة ١٥/٣/٢٠٢٢ ، ١١:١٢ pm

١٦- ينظر: لسان العرب :٣-٢٩٧/٤ مادة (حيا)

١٧- المصدر نفسه:٣-٢٩٧/٤ مادة (حيا)

١٨- البقرة:٤٩.

١٩- لسان العرب: ٣-٢٩٧/٤-٢٩٨.

٢٠- ينظر: https://www.dorar-aliraq.net/threads/785763-%D9%84%D8%A7-%D8%BA%D9%86%D9%89-%D8%B9%D9%86%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9%21-

%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B2-
%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D9%8A%D8%A9-
%D9%84%D9%84%D8%AB%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D9%81%D9%8A-
%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9، تاريخ الزيارة ١٥/٣/٢٠٢٢ ، ١١:١٢ pm

٢١- طه:١٧-٢٠.
٢٢- الأعراف:١٠٤-١٠٩.
٢٣- الشعراء:٢٣-٣٤.
٢٤- ينظر: لسان العرب ٣-١٩/٤ مادة(ثعب).
٢٥- الأعراف:١٠٩-١١٩.
٢٦- غافر:٢٦.
٢٧- ينظر: مجمع البيان : ٧ / ١٨ .
٢٨- ينظر: تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya116.html
٢٩- ينظر: لسان العرب:١٣-١٤/٢٢٣-٢٢٤ مادة (لقف).
٣٠- الزخرف:٤٩.
٣١- المفسر هو الطبري، ينظر: تفسير الطبري:http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura43-aya49.html
٣٢- ال عمران:١١٨.
٣٣- الزخرف:٥٤.
٣٤- ((حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي السليل، عن قيس بن عباد وغيره قال: قالت بنو إسرائيل لموسى: إنه لم يمت فرعون! قال: فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر))،ينظر:تفسير الطبري، http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura10-aya92.html
٣٥- يونس:٩٢.
٣٦- الأعراف:١٣٨.
٣٧- الأعراف:١٤٩.
٣٨- الأعراف:١٥٥.
٣٩- ينظر:لسان العرب مادة(سفه):٧-٨/٢٠٣.
٤٠- ينظر: https://g.co/kgs/KsNr4J
٤١- ينظر:
https://www.marefa.org/%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%84_(%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9)/simplified
٤٢- ينظر: حكاية العقل الناقص والجسد الموشوم(نقد ثقافي في أنساق المرأة المهمشة)،د.فراس العتابي، الموسوعة الثقافية(١٦٨)،دار الشؤون الثقافية العامة-وزارة الثقافة، بغداد،٢٠١٨: ٦٣.
٤٣- الإسراء:٥.
٤٤- ينظر:http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura17-aya5.html.
٤٥- سفر دانيال،الأصحاح الرابع ١-٤.
٤٦- سفر دانيال، الأصحاح الرابع ٣٧.
٤٧- سفر دانيال، الأصحاح الأول ١.
٤٨- ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B1%D9%85%D9%8A%D8%A7.
٤٩- سفر إرميا، الأصحاح السابع والعشرون١-١٢.
٥٠- الإسراء:٥.
٥١- ينظر: https://hdf-iq.org/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB%D8%A9-
%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB-
%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF
٥٢- ينظر: http://burathanews.com/arabic/studies/390387
٥٣- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط٥، ٢٠١٢م:٧٧-٨٠.
٥٤- البقرة:١٠٢.
٥٥-
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%82%D8%A7%D8%B7_%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A.
٥٦- ينظر: إعراب سورة البقرة https://altafser.com/tafseer/e3rab/sura2-aya102.html.
٥٧- ينظر تفسير ابن كثير http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya102.html.
٥٨- الأعراف:٢١.
٥٩- البقرة:٧٢.
٦٠- ينظر: تفسير ابن كثيرhttp://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya102.html.
٦١- ينظر: القرآن الكريم، ثنائية اللغة والفكر قبالة المعاجز الحسية، د.فراس العتابي، مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد(٥٩)، العدد(٤)، كانون الأول،٢٠٢٠م:٧٦.

٦٢- رواه البخاري (٣٢٦٨) ومسلم (٢١٨٩) ،مطبوب : مسحور، مُشط: آلة تسريح الشعر، مشاقة أو مشاطة: ما يسقط من الشعر،وجف طلع نخلة ذَكَر: هو الغشاء الذي يكون على الطلع ، ويطلق على الذكر والأنثى ، فلهذا قيده بالذَّكَر، وقد أيد هذه الحكاية الحافظ ابن حجر، والمازردي، وابن القيم الجوزية، وغيرهم، ينظر:
https://islamqa.info/ar/answers/68814/%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%B3%D8%AD%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D8%B5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%85-%D9%88%D9%85%D8%B9%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%A7.
٦٣- ينظر:موقع الشيخ الدكتور سفر الحوالي نسخة محفوظة ٠٦ يونيو ٢٠١٤ على موقع واي باك مشين.
٦٤- ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٤ – ٢٠١٣ :٦٧٦ و ٧١٥.
٦٥- سورة الفلق.
٦٦- الحجر:٩.
٦٧- يونس:٣٥.
٦٨- طه:٦٩.
٦٩- المجادلة:٢٢.
٧٠- ينظر: المرأة والذاكرة المتحيزة، د.فراس العتابي، مجلة اداب المستنصرية، المجلد٤٣، العدد٨٧، ايلول-٢٠١٩م:٤٧٨.
٧١- الأنفال:٣٠.
٧٢- ينظر:-https://www.islamweb.net/ar/fatwa/56952/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%B4%D9%82%D8%B4%D8%A9.
٧٣- القمر:٣٤.
٧٤- طه: ٥٩.
٧٥- الأنبياء:٣.
٧٦- ينظر: أبراج بابل، جاك دريدا، ترجمة:صيحي دقوري، تقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار، ٢٠١٥: ١٥.
٧٧-
ينظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%A8%D9%88%D8%AE%D8%B0_%D9%86%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A.

المصادر والدراسات:

القران الكريم
الكتاب المقدس
- أبراج بابل، جاك دريدا، ترجمة:صيحي دقوري، تقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار، ٢٠١٥.
- تفسير الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ط١، ١٤١٩ هـ.
- حكاية العقل الناقص والجسد الموشوم (نقد ثقافي في أنساق المرأة المهمشة)،د.فراس العتابي، الموسوعة الثقافية(١٦٨)،دار الشؤون الثقافية العامة-وزارة الثقافة، بغداد،٢٠١٨.
- الحنين إلى الخرافة فصول في العلم الزائف، عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(٢٠٤هـ-٢٦١هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض،١٣٢٤هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٤ – ٢٠١٣.
- القرآن الكريم، ثنائية اللغة والفكر قبالة المعاجز الحسية، د.فراس العتابي، مجلة الأستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد(٥٩)، العدد(٤)، كانون الأول،٢٠٢٠م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة،رالف بليز، وهاري هويجر، ترجمة:محمد بهاوي، القاهرة،١٩٧٦م.
- المرأة والذاكرة المتحيزة، د.فراس العتابي، مجلة اداب المستنصرية، المجلد٤٣، العدد٨٧، ايلول-٢٠١٩م.
- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط٥، ٢٠١٢م.

المواقع الألكترونية:

- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%A8%D9%88%D8%AE%D8%B0_%D9%86%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A.
- https://www.dipc.ps/page-2115.html تاريخ الزيارة ١٥/٣/٢٠٢٢ ، ١١:١٢ pm
- https://www.dorar-aliraq.net/threads/785763-%D9%84%D8%A7-%D8%BA%D9%86%D9%89-%D8%B9%D9%86%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9%21-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AB%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9 ، تاريخ الزيارة ١٥/٣/٢٠٢٢ ، ١١:١٢pm
- تفسير الطبري http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura7-aya116.html
- http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura43-aya49.html
- https://g.co/kgs/KsNr4J
- https://www.marefa.org/%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9%84_(%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9)/simplified
- http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura17-aya5.html
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B1%D9%85%D9%8A%D8%A7
- https://hdf-iq.org/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF

- http://burathanews.com/arabic/studies/390387
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%82%D8%A7%D8%B7_%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A.
- إعراب سورة البقرة https://altafser.com/tafseer/e3rab/sura2-aya102.html.
- تفسير ابن كثير http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura2-aya102.html.
- https://islamqa.info/ar/answers/68814/%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%B3%D8%AD%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%8A-%D8%B5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%85-%D9%88%D9%85%D8%B9%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%A7.
- https://www.islamweb.net/ar/fatwa/56952/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D8%B3%D9%85%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%B4%D9%82%D8%B4%D8%A9